الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة 08 ماي 1945 قالمة

كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية

قسم التاريخ



مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر في التاريخ العام

أحمد توفيق المدني ودوره في الحركة الوطنية الجزائرية (1925 - 1954م)

إعداد الطلبة:

*** أميرة بوعزيز**

*** إيمان عبدي**

إشراف الأستاذ:

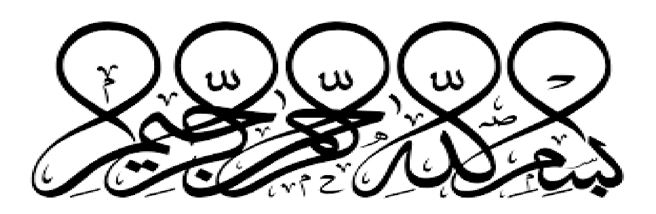
السبتي بن شعبان

لجنة المناقشة:

الأستاذ	الرتبة	الصفة	الجامعة
رمضان بورغدة	أستاذ	رئيسا	جامعة 8 ماي 1945 قالمة
السبتي بن شعبان	أستاذ مساعد – أ –	مشرفا	جامعة 8 ماي 1945 قالمة
سعاد برمضان	أستاذ مساعد – أ –	عضو مناقشًا	جامعة 8 ماي 1945 قالمة

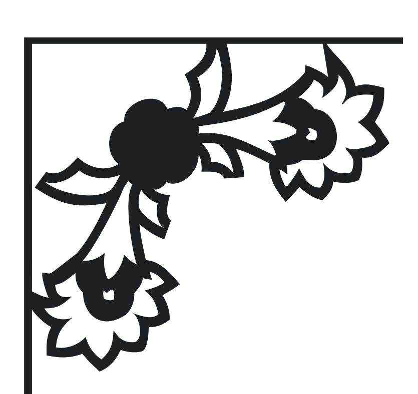
السنة الجامعية: 1438/1437هـ – 2017/2016م

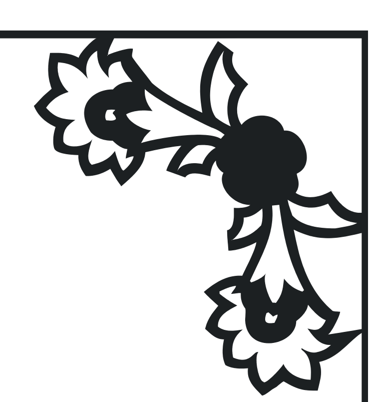

بسم الله الرحمن الرحيم



قال تعالى: ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴾

[الطلاق الآية 03]





شكر وعرفان

وفاءًا وتقديرًا، واحترامًا لسرج أضاء بنوره درب كل طالب علم

إلى كل من علّمنا حرفًا

إلى الأستاذ المشرف السبتي بن شعبان

الذي تابع العمل

نتقدّم له بالشكر الجزيل على النُصح والتوجيه والتشجيع والتحفيز

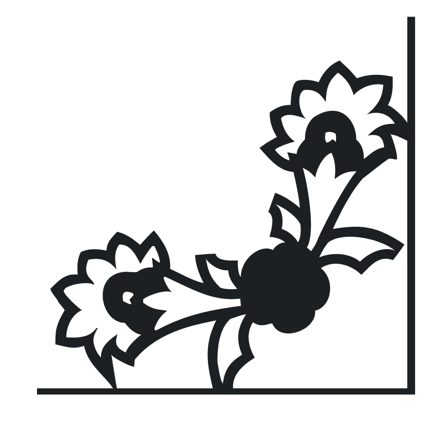
كما أُوجه شكرنا لكل الأساتذة المشرفون على مناقشة هذه الرسالة

ونشكر كل منْ قدّم لنا المساعدة من قريب أوبعيد

ولا ننسى في الأخير شكر زملائنا في الدفعة.

أميرة بوعزيز

إيمان عبدي



إهداء

إلهي لا يطيب الليل إلا بشكرك ولا يطيب النهار إلاّ بطاعتك

ولا تطيب اللحظات إلاّ بذكرك ولا تطيب الآخرة إلا بعفوك

ولا تطيب الجنة إلا برؤيتك يا رحمن يا رحيم

إلى منارة العلم والإمام المصطفى إلى من بلّغ الرسالة وأدى الأمانة... ونصح الأمة

إلى نبي الرّحمة ونور العالمين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم

إلى ملاكي في الحياة إلى معنى الحب إلى معنى الحنان

والتفاني إلى بسمة الحياة وسر الوجود

إلى من كان دعاؤها سر نجاحي

وحنانها بلسم لجراحي، إلى أغلى الحبايب

أمي الحبيبة رقية

إلى من جرع الكأس فارغًا ليسقيني قطرة حب

إلى من أكلت أنامله ليقدّم لحظة سعادة...

إلى من حصد الأشواك وأزاحها عن دربي ليمهد لي طريق العلم... إلى القلب الكبير

أبي العزيز عمار

إلى من عيناي لم ترى أغلى منهم ... أرى فيهم متعة الحياة، هم ألوان حياتي أختي "نادية" وإخواني:

سليم، فريد، رضا، حكيم

إلى كتاكيتنا الصغار: أيوب وإسحاق وأمهما "نوال"

إلى جدتي العزيزة "عرجونه"، وأخوال وخالاتي الكرام.

إلى كلّ العائلة.

الى من احبهم في هذه الدنيا رفيق دربي زهير

الى من عرفني من قريب او بعيد

إلى كل طلبة سنة ثانية ماستر تخصص تاريخ

إلى كل أساتذة قسم التاريخ

أهدي هذا العمل



إهداء

إلى من أهدوا لنا حياة الحرية والكرامة... وطلبوا الموت لتوهب لنا الحياة...

إلى من سقوا بدمائهم الزكية هذه الأرض المباركة بكل سخاء

وخلّدوا ذكراهم بأروع صور التضحية والشجاعة والإيمان بالله

فكانوا الوقود الذي أشعل لهيب الثورة، والمشعل الذي أضاء الجزائر بعد ليل طويل دامس

بل وجعلوا العالم كلّه يقتبس من نورهم، ويستلهم من أفكار ثورة أول نوفمبر

وإلى كلّ من آمن وعمل بصدق بقول الشهيد "مراد ديدوش":

«إذا متنا دافعوا عن أفكارنا»

وقول الشهيد "محمد العربي بن مهيدي":

«لكم الماضي ولنا المستقبل»

أهدي حبي وعملي ووقوفي إجلالاً أمام عمالقة قلّما يجود بهم التاريخ

وإلى من أضاءت لنا درب الحياة بنور الأخلاق والتربية الفاضلة

وأهدت لنا زهرة شبابها فغدت أريجًا يملأ قلوبنا وعقولنا

إلى من علمتنا أنّ العلم تواضع والعبادة إيمان والنجاح إرادة والحياة عمل

إلى أمي الغالية "ليلى"

إلى صاحب القلب الكبير والصبر الطويل

إلى والدي العزيز "الدهموشي"

إلى إخوتي وأخواتي: حنان، لبنى، وليد، فريد، وابنته الكتكوتة "مايا"

وزوجته أحلام دون أنْ أنسى كل خالاتي وأخوالي وأبنائهم جميعًا

وجدتي الغالية "زبيدة" أطال الله في عمرها ومتّعها بالصحة والعافية

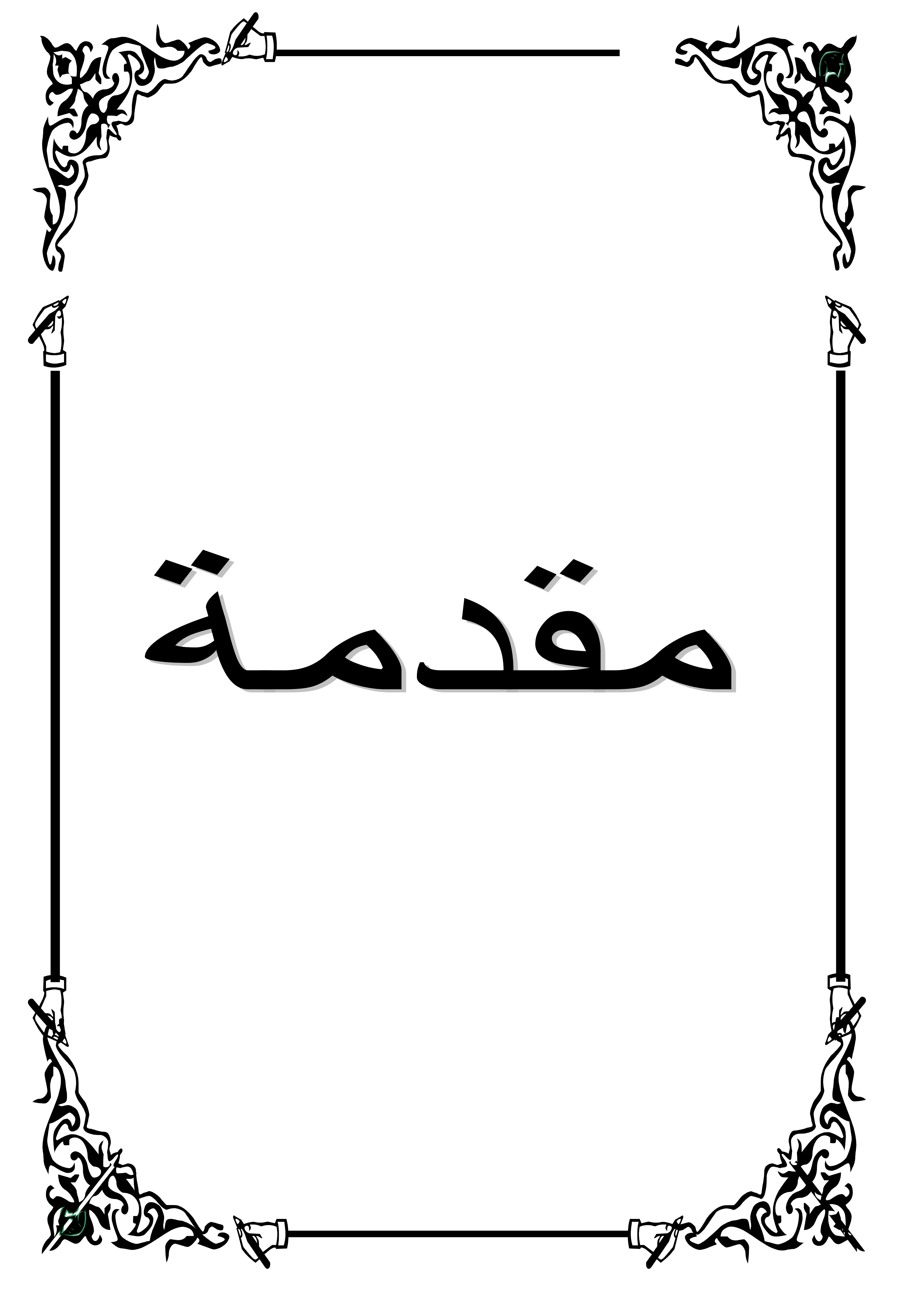
إلى أختاي اللتان لم تلدهما أمي "سلمى سلاطنية"، "مروى شرافة"

إلى كلّ طلبة سنة ثانية ماستر تخصص تاريخ

إلى من أحبهم في هذه الدنيا

أهدي باكورة عملي وعُصارة فكري وجزيل شكري.

إيمان



مقدمة

مقدمة:

عرف التواجد الفرنسي بالجزائر رفضًا شعبيًا منذ احتلاله للبلاد سنة 1830م، وظهر ذلك من خلال الثورات الشعبية المتتالية، ورافقها نضال فكري ضمن إطار الحركة الوطنية منذ بداياتها الأولى، وبظهور أحزاب سياسية وجمعيات لتحقيق وحدة وطنية ودينية تضم مختلف المذاهب والاتجاهات الإصلاحية، وبرزت في هذا الإطار عديد الشخصيات الفكرية والسياسية التي ساهمت في الحفاظ على الهوية الوطنية الجزائرية بمقوماتها المختلفة، وقاوم هؤلاء الأعلام طيلة فترة الاحتلال الفرنسي جميع المحاولات التي أرادت أن تقضي على كل ما يُبرز الأمة الجزائرية التي أثبتت وجودها عبر المراحل التاريخية المتعاقبة، مساهمات رواد الحركة الثقافية والفكرية والسياسية الجزائرية إبّان فترة الاستعمار تناولتها الدّراسات العربية والأجنبية بالتحليل وأبرزتها كواحدة من أشكال المقاومة الرّائدة على المستوى العالمي.

وعلى الرغم من أنّ أغلب الأبحاث قدّمت وعَرّفت بالكثير من رجالات الفكر والاصلاح ،إلاّ أنّ آخرين من هؤلاء لازالت اسهاماتهم محل بحث وتسليط الضوء على غرار الأديب والمفكر السياسي أحمد توفيق المدني الذي ساهم وناضل من أجل التعريف بالقضية الوطنية ، و عليه بحثنا في هذه الشخصية في المجال الفكري والسياسي الوطني، وهذا من خلال البحث في ما تركه من أبحاث ومؤلفات أبرزت مساهماته و موقفه ونظرته لمسار وتطور النضال ضمن الحركة الوطنية لكشف التزييف الاستعماري لتاريخ الجزائر والذي حارب مقومات الشخصية الوطنية، اللغة العربية والدين الإسلامي، وهنا تركز عمله على تعريف الشباب بهويته الحقيقية التي تختلف تمامًا عن هوية المستعمر الفرنسي وهو ما جعل هذا الأديب والسياسي الكبير يجمع بين الجهد الأدبي والثقافي والسياسي، باعتبارها أوجهًا متعددة لقضية واحدة.

أهمية الموضوع:

إنّ دراسة الأعلام والشخصيات وتتبع جهودهم لها أهمية كبرى في الحفاظ على رصيدها النضالي نصرة للحق ورد للظلم، بل ويصل إلى حد الافتخار والاعتزاز بهولاء وجعلهم قدوة.

أسباب اختيار الموضوع:

وقع اختيارنا على دراسة هذا الموضوع لعدة أسباب منها:

أولاً: الرغبة الشخصية في البحث عن تراجم الأعلام والشخصيات.

ثانيًا: معرفة مضمون ومناهج وأفكار أحمد توفيق المدني بالحفاظ على الهوية الحضارية للشعب الجزائري والدفاع عن القضية الوطنية بما أنّه عايش فترة الاحتلال الفرنسي للجزائر وهو ما يُعطي بُعدًا أكبر للعمل بما ساهم به هذا المفكر.

ثالثا: إبراز دور شخصية أحمد توفيق المدني في الحركة الإصلاحية والوطنية.

إشكالية البحث:

يتناول هذا العمل البحثي والرسالة المقدمة لنيل شهادة الماستر مساهمة تتعلق بمشاركة أحمد توفيق المدني في الحركة الوطنية ضمن الإتجاه الإصلاحي والفكري والسياسي والتعليمي.

وفي هذا السياق نطرح جملة من الأسئلة والإستفهامات:

-من هو أحمد توفيق المدني ؟

- ما مدى إسهامه في ظهور إحدى أهم الجمعيات الإصلاحية في الجزائر ؟

- إلى أي مدى ساهم تكوينه الديني والثقافي في التواصل مع مختلف رواد الحركة الوطنية ؟

- كيف كان دوره الصحفي من خلال كتاباته في الجرائد ؟

- فيما تمثلت أهم مواقفه وآرائه من قضايا عصره ؟

حدود الدّراسة:

انحصر البحث في هذه الدّراسة على مرحلة نشأة وبروز مسار الحركة الوطنية منذ سنة 1925م إلى 1954م، والتي شارك فيها أحمد توفيق المدني وطرح خلالها أفكاره الثورية، وساهم في توضيح حقيقة الاستعمار وسط الشباب الجزائري، ما يعدّ عاملاً من العوامل التي أدت فيما بعد إلى ظهور تيار يُنادي بالكفاح المسلح لتحرير الجزائر في ظل معطيات رافقت ذلك خلال تلك الفترة على مختلف الأصعدة الإقليمية والدولية.

مناهج البحث:

للإلمام بأطراف الموضوع والإجابة عن التساؤلات المعروضة استخدمنا بعض المناهج، نذكر منها:

المنهج التاريخي الوصفي: وقد استخدمناه في تتبع الإحداث التاريخية ووصفها وترتيبها حسب التسلسل الزمني في تتبع حياة الرجل وأعماله.

المنهج التحليلي: بتحليل بعض الحقائق والقضايا الفكرية والدينية والتربوية انطلاقًا من مفهوم أحمد توفيق المدني.

المنهج المقارن: حيث تعرضنا إلى سيرة هذه الشخصية البارزة وموقعها الفكري والسياسي، ودورها في الحركة الوطنية التي عبّرت عنها مواقفه وآرائه وكتاباته لإبراز معارضته للتيارات الفاسدة.

صعوبات البحث:

يواجه كل باحث جملة من الصعوبات والعراقيل أثناء إنجازه لدراسته، تتطلب منه صبرًا وإرادة، وما اختيار الموضوع وجمع مصادره ومراجعه إلاّ جزء منها، إلاّ أنّ الصعوبات الأكبر هي التي تواجه الباحث أثناء التحرير، نذكر منها على سبيل المثال:

- صعوبة التنسيق بين المصادر والمراجع التي تحتوي على معلومات متشابهة ومتداخلة فيما بينها صعّب علينا عملية التنسيق والترتيب لإيجاد معلومات متتالية ومترابطة تمكن القارئ من الفهم والاستيعاب.

المصادر والمراجع:

اعتمدنا في هذا البحث على مجموعة من المصادر والمراجع نذكر منها:

أولاً: المصادر:

*** الكتب:**

- مذكرات أحمد توفيق المدني: وهي في ثلاثة أجزاء غطت المرحلة الممتدة بين 1905-1962م.

- حياة كفاح: الجزاء الأول في تونس 1905-1925م يعالج مرحلة النِشأة والتكوين العلمي والسياسي للشيخ أحمد توفيق المدني.

- حياة كفاح: الجزء الثاني في الجزائر 1925-1954م، ويعرض نشاطات المدني بالجزائر بعد إبعاده إليها سنة 1925م.

- حياة كفاح: الجزء الثالث 1954-1962م، واستعرض فيه نضاله خلال الثورة التحريرية الكبرى.

وعمومًا فإنّ الجزء الأول والثاني كانا من أهم المصادر التي رافقتنا خلال هذا البحث، حيث استفدنا منهما في المبحث الأول من الفصل الأول من خلال حديثنا عن مولده وتكوينه الاجتماعي ،وكذلك في المبحث الثاني الذي تطرقنا فيه الى مراحل تعليمه.

- كتاب: الكفاح القومي والسياسي من خلال مذكرات معاصر، بأجزائه الثلاثة، لمؤلفه "عبد الرحمن بن إبراهيم بن العقون"، الذي استفدنا منه في المبحث الثالث في البحث عن الآثار العلمية لأحمد توفيق المدني.

***المجلات و الصحف:**

-جريدة البصائر: وذلك بالاعتماد عليها في المبحث الأول من الفصل الثاني من خلال دراستنا لمساره الجمعوي والأدبي.

-جريدة الشهاب التي اعتمدنا عليها في المبحث الأول والثاني من الفصل الثالث الذي تحدثنا فيه على اسهاماته السياسية مثل مشاركته في بيان الشعب وموقفه من قضايا عصره.

وغير ذلك من المصادر التي رافقتنا في هذا البحث.

ثانيًا: المراجع:

- كتاب "جمعية العلماء المسلمين ودورها في تطور الحركة الوطنية 1931-1954م" لمؤلفه "عبد الكريم بوصفصاف "،الذي اعتمدنا في موقف أحمد توفيق المدني من قضايا عصره كالقضية البربرية.

وغير ذلك من المصادر والمراجع التي رافقتنا في هذا البحث.

خطة البحث:

تبعًا للمادة الخبرية التي حصلنا عليها قسّمنا هذا الموضوع إلى مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة وملاحق، وببليوغرافيا.

تطرقنا في المقدمة إلى التعريف بالموضوع، وأسباب اختياره، الإشكالية والاستفهامات المراد مناقشتها، والمناهج المُوظفة في الدّراسة، كما ذكرنا بعض الصعوبات التي واجهتنا، بالإضافة إلى ذكر أهم مصادر البحث ومراجعه.

- **الفصل الأول: ترجمة لشخصية أحمد توفيق المدني** قسّمناه إلى ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: التكوين الاجتماعي لأحمد توفيق المدني

تعرضنا فيه لمولده ونسبه وأصل عائلته، ونشأته الأسرية والاجتماعية.

المبحث الثاني: التكوين التعليمي للمدني

وتناولنا فيه نوعية التعليم الذي تلقاه أحمد توفيق المدني في المؤسسات العلمية والتقليدية والعصرية، وذلك منذ دخوله الكُتّاب.

المبحث الثالث: آثاره الفكرية

تطرقنا فيه إلى التعريف بسلسلة من مؤلفاته من خلال وضعها وسرد روايتها.

- **الفصل الثاني: النشاط الثقافي لأحمد توفيق المدني في الجزائر من 1925 إلى 1954م**

قِسّمناه إلى ثلاث مباحث:

المبحث الأول: دوره في الجمعيات الأدبية

تناولنا فيه دعواته لإحياء العمل المسرحي بالجزائر، ومساهمته في تأسيس الجمعية الخيرية الإسلامية ودوره الفعّال داخلها، وتمكنه من تأسيس أعظم وأشهر نادي بالجزائر وهو نادي الترقي.

المبحث الثاني: نشاطه الصحفي

تناولنا فيه مقالاته في مختلف الأحداث السياسية الوطنية والعالمية آنذاك، خاصة في جريدتي الشهاب والبصائر.

المبحث الثالث: دوره في جمعية العلماء المسلمين الجزائريين

وعالجنا فيه مساهمته في تأسيس الجمعية، ووضع قانونها الأساسي الأول.

- **الفصل الثالث: نشاطه السياسي في الجزائر من 1925 إلى 1954م.**

وقسّمناه إلى ثلاث مباحث:

المبحث الأول: إسهاماته السياسية

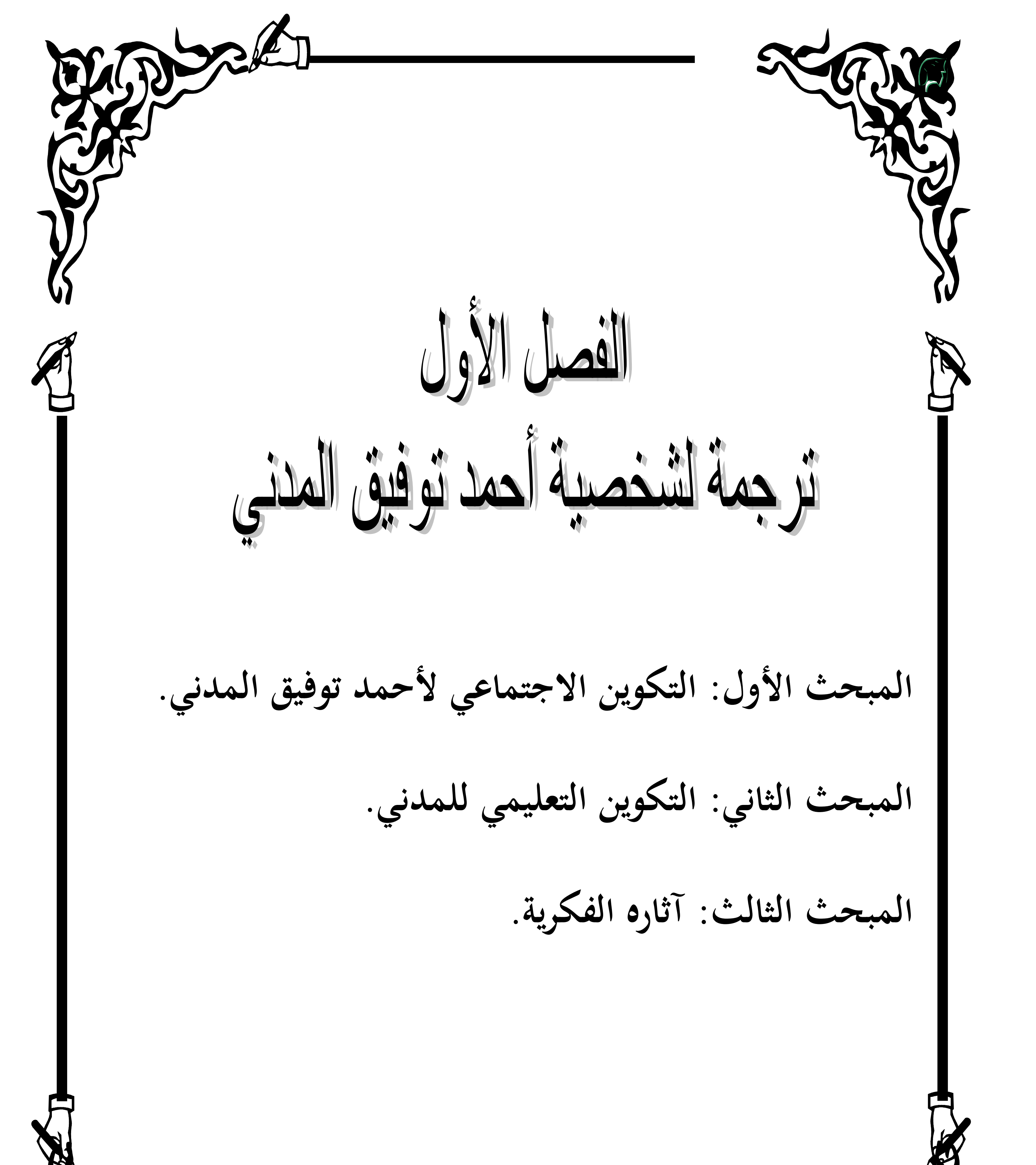
تطرقنا فيه إلى مشاركاته العديدة في مختلف التظاهرات والتنظيمات السياسية على غرار مشاركته في إعداد بيان الشعب الجزائري في عام 1943م، ومشاركته في الجبهة الوطنية للدفاع عن الحرية عام 1951م، وكذلك إبراز موقفه اتجاه الاستعمار الفرنسي من خلال خطاباته وكتاباته.

المبحث الثاني: موقفه من قضايا عصره من خلال كتاباته

تناولنا فيه مواقفه من بعض القضايا كالطرق الصوفية، والاحتفالات المئوية الفرنسية، والمسألة البربرية وظاهرة التجنيس.

المبحث الثالث: موقفه من القضايا العربية.

تناولنا فيه مواقف أحمد توفيق المدني من القضايا العربية كالقضية التونسية والليبية ومساندته للقضية الفلسطينية.



الفصل الأول
ترجمة لشخصية أحمد توفيق المدني

المبحث الأول: التكوين الاجتماعي لأحمد توفيق المدني.

المبحث الثاني: التكوين التعليمي للمدني.

المبحث الثالث: آثاره الفكرية.

تناولنا في هذا الفصل المرحلة الأولى من حياة "أحمد توفيق المدني"، حيث تطرقنا إلى خصائص مرحلة شبابه التي عاشها بمسقط رأسه تونس، وعليه فإننا سنتطرق إلى مولده ونسبه ومراحل طفولته، وخصائص الوسط العائلي والاجتماعي الذي تربّى ونشأ فيه، وذلك من خلال تكوينه الاجتماعي، كما سنقوم بمحاولة التّعرف على مختلف المؤشرات التي ساهمت في تكوين شخصيته.

ثم سنعرض في المبحث الثاني تكوينه التعليمي ،حيث تميّزت مرحلة تعليمه بالربط بين ما هو تقليدي في الكتاب وما قدّمته المدارس العصرية كالخلدونية.

كما عملنا في المبحث الثالث على معرفة أهم المؤلفات التي كتبها أحمد توفيق المدني.

المبحث الأول: التكوين الاجتماعي لأحمد توفيق المدني

وُلد أحمد توفيق المدني بتونس[1]في الأشهر الأخيرة من القرن التاسع عشر، بالتحديد في أول نوفمبر 1899م[2]، ببيت يقع في نهج الناعورة بتونس العاصمة، ينحدر من أسرة غرناطية ميسورة الحال، كان أبوه من كبار علماء الجزائر، وهو السيد محمد بن أحمد المدني نسبة إلى المدينة المنورة، ويُنسب إلى غرناطة وأصلها يعود إلى الأندلس[3].

والده من مواليد عام 1852م، تلقى علومه العربية بالجامع الكبير، وقد عرف بنزاهته وأمانته واستقامته وثرائه، وقد طلب العلم في جامع الزيتونة، كان جدّه أمين الأمناء[4]، أي شيخ بلدية العاصمة بعد أنْ هاجر مع العائلة إلى تونس التي قد وُلد فيها كل من المدني

(1) بوعلام بلقاسمي، موسوعة أعلام الجزائر أثناء الثورة، (د ط)، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر، (د س ن)، ص 131.

(2) صالح علواني، أحمد توفيق المدني التونسي الجزائري المصلح والمناضل من خلال مذكراته 1915–1925،(د ط) تونس، (د س)، ص 130.

(3) محمد الصالح الصديق، أعلام المغرب العربي، ج3، ط2، موفم للنشر، الجزائر، 2008، ص 183.

(4) بوعلام بلقاسمي، المرجع السابق، ص 131.

توفيق وأخوه الهادي، فالأول من مواليد 1317 هـ الموافق لـ 1899م والثاني وُلد عام 1318 هـ الموافق لـ 1900م، عائلة المدني كانت ذات دين وثقافة وأخلاق[1].

تعتبر الفترة التي وَلد فيها أحمد توفيق المدني فترة مليئة بالنشاط العلمي والسياسي، إذْ شهد ميلاد المدرسة الخلدونية وإصلاحات جماع الزيتونة[2].

أمّا والدته فهي الجزائرية عائشة بويزار[3]، هاجرت عائلتها إلى تونس، عندما اشتد الاضطهاد الفرنسي، وكان ذلك سنة 1870م ، جدّه والد أمه هو الشيخ عمر بويزار وزوجته السيدة كريمة من عائلة ابن غاشم، وكانت من أكبر العائلات التونسية[4].

عائلة المدني عائلة جزائرية اسمها الأصلي بن عمر نسبة إلى أحد الأجداد يُعرف بن عمر في وقتنا الحاضر باسم حي بمدينة القبة بالجزائر العاصمة، وهي من عرب الأندلس الذين نزحوا بعد سقوط غرناطة في عام 1492م[5].

يعتبر أحمد توفيق المدني أحد رجال الإصلاح في الجزائر الذين برزوا بعد الحرب العالمية الأولى إلى جانب رفقائه منهم: الشيخ العلامة عبد الحميد بن باديس والشيخ العربي التبسي، والشيخ مبارك الميلي... وغيرهم ممن رفعوا راية الإصلاح في الجزائر[6].

عائلة المدني متكونة من أربعة إخوة: ثلاثة ذكور، وهم: الهادي، حسن، محمد علي، وبنت واحدة تُدعى خديجة[1]،كانت حياته في منزل فخم، جمع الأب والأم والابن، حياة

---

(1) محمد الصالح الصديق، المرجع السابق، ص 183.

(2) أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي 1830–1954، ج7،(د ط) ، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998م، ص 418.

(3) أحمد توفيق المدني، حياة كفاح، ج2،(د ط)، الشركة الوطنية للتوزيع، الجزائر، 1983م، ص 08.

(4) أحمد توفيق المدني، حياة كفاح، ج1،(د ط) ، دار البصائر، الجزائر، 2008م، ص 31.

(5) عبد القادر خليفي، أحمد توفيق المدني ودوره في الحياة السياسية والثقافية بتونس والجزائر 1899–1983م ،جامعة منتوري، قسنطينة، 2006–2007م، ص 48.

(6) محمد علي دبوز، أعلام الإصلاح في الجزائر من 1340 هـ–1921م إلى عام 1395 هـ–1975م،(د ط) ،منشورات السهل،الجزائر، 2009، ص 29.

سعيدة، وكان يصغي إلى حديث الأب والجد والخال[2]، كما مثل المناخ العائلي الذي احتضنه وهو صغير المدرسة الأولى التي أنشأته، والمعلم الأول الذي فتح في وجهه أبواب الحياة الحرة الشريفة، حياة التضحية والجهاد والفداء[3].

كان المدني ذو نضج مبكر وحسن مرهف متحفز إلى النضال، نشأ رافضًا للظلم ونشأ ثائرًا على كل عدوان يقترفه قوي متجبر على ضعيف لا يملك قوة الدفاع مهما كان جنس ذلك الضعيف[4].

تعتبر سنة 1925م سنة فاصلة في حياة المدني توفيق إذْ بعد طرده من تونس إلى الجزائر وضع حدّ لنضاله ونشاطه بتونس[5].

يُعدّ أحمد توفيق المدني من الرجال العظماء، إذْ بدأ نضاله منذ نعومة أظافره، حيث قال: «خُلقت ثائرًا، حيثما تكون الثورة أكون، وتكون الثورة حيثما أكون»[6]،فعندما كان صغيرًا في المراحل الأولى لدراسته في الكتّاب بدأ يظهر اهتمامه المبكر بالكفاح المناهض للاستعمار، بدأ ذلك من خلال مساهمته مع أترابه في إنشاء جماعات تنادي بالثورة ضد فرنسا التي احتلت أرضهم[7].

في سنة 1915م أخذ أحمد توفيق المدني يسجل نشاطًا ملحوظًا في لجنة صغار الثوار التونسيين التي ترى بأنّ الكفاح المسلح هو الوسيلة الوحيدة لتحقيق استقلال تونس، ثم بقية دول المغرب العربي ثم العالم الإسلامي، ولقد أوقف وأُعتقل، وسُجن في تونس واتهم

---

(1) أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي 1830–1954م، ج7، المرجع السابق، ص 50.

(2) أحمد توفيق المدني، حياة كفاح، ج1، المصدر السابق، ص32.

(3) صالح علواني، أعلام المغرب العربي، ج3، المرجع السابق، ص 02.

(4) المرجع نفسه، ص 03.

(5) أحمد توفيق المدني، حياة كفاح، ج2، المصدر السابق، ص 08.

(6) صالح علواني، أحمد توفيق المدني الثوري الجزائري المصلح والمناضل، المرجع السابق، ص 01.

(7) أحمد توفيق المدني، حياة كفاح، ج1، المصدر السابق، ص 07.

بالمساس بالسيادة الوطنية[1]،وأُطلق سراحه في أواخر 1918م ونتيجة لثوريته ونشاطاته السياسية وكتاباته الصحفية تم إبعاده إلى الجزائر في 1925م، حيث استقر بمدينة الجزائر العاصمة لدى بنات عمّه من عائلة المدني، وكنّ متزوجات من عائلتي "الموهوب بن علي" و"بوركايب"، وهما من العائلات المعروفة ذات الأصول التركية[2].

أمّا عن قصة خروجه من السجن فكانت بفضل محاميه ذو الأصول الجزائرية الذي انتهز فرصة انتهاء الحرب العالمية الأولى وتوقيع معاهدة هدنة، إذ طلب تخفيف العقوبة عنه، وتمّ إخراجه بدعوى أنّ موكله كان صغيرًا حيث حدثت الواقعة[3].

استمر المدني في نضاله وكفاحه على الصعيد السياسي والاجتماعي والثقافي على الرغم من إلتزامه اليومي أمام محافظة الشرطة، والرقابة المتواصلة له من قِبل المصالح الفرنسية الأمنية، وعلمه بما يجري داخل البلاد، حيث أنّه كان يهدف من خلال هذا إلى إيقاظ الضمير الوطني للجزائريين، كما كان دائمًا يُصرح في خطاباته بمبادئه الثلاثة التي بنى عليها كفاحه وهي: الجزائر وطننا، والعربية لغتنا، والإسلام ديننا[4].

كان أحمد توفيق المدني الجزائري ذو التكوين التونسي، أحد الأعضاء الذين ساهموا مساهمة فعّالة في بلورة الحركة الوطنية الجزائرية خلال ما بين الحربين، وقد انخرط وهو الصحافي والمؤرخ باللغة العربية في الحياة السياسية والثقافية لوطنيه تونس والجزائر [5].

بعد استقراره في الجزائر، سعى إلى التعريف الوطني الجزائري من خلال المحاضرات والخُطب والمنشورات المتنوعة وكُتب التاريخ[1].

---

(1) أحمد توفيق المدني، حياة كفاح، ج2، المصدر السابق، ص 08.

(2) عبد القادر خليفي، المرجع السابق، ص 52.

(3) أحمد توفيق المدني، حياة كفاح، ج2، المصدر السابق، ص 08.

(4) المصدر نفسه، ص 09.

(5) علي مراد، الحركة الإصلاحية الإسلامية في الجزائر –بحث في التاريخ الديني والاجتماعي من 1925 إلى 1940، ترجمة محمد يحياتن، دار الحكمة، الجزائر، 2007، ص 137.

توفي المدني عن عمر يُناهز 85 سنة وذلك في 18 أكتوبر 1989م بمسكنه العائلي بالأبيار بالجزائر العاصمة(2).

لم تُشيع جنازته في يوم وفاته، بل تمّ تأخيرها إلى اليوم الموالي انتظار وصول الوفود، ومن بينها عائلة المدني المقيمة بتونس، وشخصيات وطنية تاريخية(3)، وبمناسبة وفاته كتب أخوه الهادي الشاعر الشهير بتونس قصيدة رثى فيها المرحوم، وقد نُقشت على قبر الشيخ أحمد توفيق المدني، ما جاء فيها(4):

قف ففي القبر أحمد المدني * هو "توفيق" الشريف الرضي

هو للمغرب الكبير والإسلام * ذاك المناضل العربي

علمُ للتقى إلى الرشد نادى * إنّه الرائد النقي التقي

ربنا إجعل مثواه جنة عدن * أين في الخلد جدّه الهاشمي

رحم الله الفقيد وأسكنه فسيح جنانه

المبحث الثاني: التكوين التعليمي للمدني

كانت عائلة المدني تقوم بتوجيه أبنائها إلى التعليم القرآني، حيث أنّه عند بلوغه سن الخامسة من عمره أدخله والده إلى الكُتَّاب (المدرسة القرآنية)(5)، فالشيخ المدني قد بدأ الدّراسة في الكُتَّاب بتونس، كما أنّه كان يستمع كل ليلة للدروس التي كان يُلقيها جدّه على

---

(1) المرجع نفسه، ص 137.
(2) أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج7، المرجع السابق، ص 419.
(3) عبد القادر خليفي، المرجع السابق، ص 252.
(4) المرجع نفسه، ص 253.
(5) عبد القادر خليفي، المرجع السابق، ص 55.

كل أفراد العائلة الكبيرة، في مجالات الدين والسيرة النبوية والتاريخ، خاصة حول مذابح الاستعمار الفرنسي في الجزائر[1]،من بين الدروس التي تلقاها أحمد توفيق المدني في الكُتَّاب هي دروس التفسير...وغيرها على يد كبار الشيوخ[2].

أمّا أمه رحمها الله فقد كانت تجتهد في تعليمه سور القرآن الكريم، بالإضافة إلى بعض الأحاديث النبوية رواها أبو هريرة رضي الله عنه، هذه الأحاديث كانت تسمعها عن أبيها رحمه الله جل أكثر حديثها عن الحلال والحرام، حيث تقول لابنها المدني بأنّ الحرام هو كل خبيث والحلال هو العمل الصالح الطيب، والجنة التي يرثها عباد الله المتّقون، وجهنم في مستقر أبدي للشيطان والذين اتبعوه[3].

من العلوم التي كان شديد التعلق بها هي العلوم الكونية أكثر من العلوم الدينية والعلم المدرسي الواسع، وكانت نزعته وميله نحو نشر الوعي الوطني أكثر من اللجوء إلى المواعظ الدينية[4]،حيث نشأ لديه وعي مبكر بضرورة التصدي للظلم والقهر، وهو القائل: «إنّ الثورة العاتية في سبيل الحق ضد الظلم والطغيان تقضي على بطش الظالمين»[5].

لقد بدأ أحمد توفيق المدني حياة كفاحه وهو صبي، فيقول في هذا الشأن: «كنت أكبر من سني بأعوام عديدة، وقد كان زملاؤه ينادونه بـ "سي المدني"»[6].

---

(1) بوعلام بلقاسمي، موسوعة أعلام الجزائر أثناء الثورة، المرجع السابق، ص 131.

(2) أحمد توفيق المدني، "الذكرى السابعة والثلاثون لوفاة ابن باديس الرجل العظيم"، مجلة الأصالة، العدد 44، السنة السادسة ربيع الثاني 1397هـ/1977م، ص 62.

(3) أحمد توفيق المدني، حياة كفاح، ج1، المصدر السابق، ص 39.

(4) أحمد توفيق المدني، أبطال المقاومة الجزائرية، (د ط) ، دار البصائر، الجزائر، 2008، ص 09.

(5) صالح علواني، أحمد توفيق المدني التونسي الجزائري والمناضل من خلال مذكراته 1915–1925م، المرجع السابق، ص 03.

(6) المرجع نفسه، ص 08.

كما أظهر المدني اهتمامه المبكر المناهض للاستعمار وهو في المراحل الأولى من دراسته، إذ بدأ ذلك من خلال مساهمته مع أصدقائه في إنشاء جماعات تُنادي بالثورة ضد فرنسا التي احتلت أرضهم[1].

كما كان المدني بعد عودته إلى المنزل من المدرسة القرآنية يتلو ويُكرر على مسامع أمه ما يحفظه فتزداد بهجتها وسرورها فرحًا بابنها واجتهاده، وكان عمره لم يتجاوز تسع سنوات[2].

اشتهر المدني بحبه الشديد للمطالعة خاصة الصحف، وكان يستهويه الحديث عن الساسة والسياسة[3].

عند بلوغه سن التاسعة من عمره انتقل إلى المدرسة القرآنية الأهلية بتونس العاصمة، ودخل إلى جامع الزيتونة عام 1931م كطالب حر، ولقد درس على يد كبار الشيوخ، وفي نفس الوقت كان طالبًا منتظمًا بالمدرسة الخلدونية، حيث تأثر بأستاذ التاريخ حسن حسني عبد الوهاب[4].

أبرز الحوادث التي وقعت له في مشواره التعليمي، هي تلك اللحظة التي كان فيها المؤدب ينهال بالضرب المبرح على زميل له في الكُتَّاب، كان هذا الزميل اسمه عمري لا يُجيد الحفظ أبدًا، فلم يتحمل توفيق المدني هذا الموقف القاسي، فقام إلى المؤدب وأمسك به حول عنقه قائلاً له هذا حرام، والده أتاك به لتعلمه لا لتضربه بهذه الوحشية، قام المؤدب ونزع يد المدني من عنقه وجلس على كرسي وتمتم كلمات غير مفهومة، وقال للمدني بارك

(1) أحمد توفيق المدني، أبطال المقاومة الجزائرية، المصدر السابق، ص 06.

(2) أحمد توفيق المدني، حياة كفاح، ج1، المصدر السابق، ص 41.

(3) يوسف بوغابة، معالم الفكر السياسي لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، (د ط)، وزارة الثقافة، الجزائر، (د س ن)، ص 33.

(4) بوعلام بلقاسمي، موسوعة أعلام الجزائر أثناء الثورة، المرجع السابق، ص 131.

الله فيك يا بني لولاك لقتلت الولد، فقد فقدت صوابي، وقال المؤدب للطفل "عمري" لا تأتي إلى هنا أبدًا أنت لست أهلاً للقراءة، وأخبر والدك بأنْ يُعلِّمك صنعة تنتفع بها(1).

من بين تجاربه القاسية والمريرة في الحياة إبَّان الاستعمار الغاشم لدول المغرب العربي، مكوثه في السجن، ففي هذه الفترة تمكن من تعلم اللغة الفرنسية بمطالعته وحفظه للكتب والروايات والمجلات التي كان يتحصل عليها(2).

كما تميّز الشيخ والأستاذ أحمد توفيق المدني عن الشيخ مبارك الميلي(*)، بإتقانه للغتين العربية والفرنسية، بالإضافة إلى ثقافته العالية جدًا والمنفتحة على الثقافة العالمية، وأيضًا خبرته السياسية باعتباره أحد مؤسسي الحزب الدستوري الحر في تونس، قبل نفيه إلى الجزائر عام 1925م(3).

تلقى تعليمه الثانوي بالمعهد الخلدوني على يد مجموعة من الأساتذة منهم المؤرخ التونسي المعروف الأستاذ حسن حسني عبد الوهاب، الذي كان عضوًا في مجمع اللغة العربية، كما تابع التعليم العالي بجامع الزيتونة على يد أعلام مشاهير، وتخرج بمحصول علمي وافر، هيَّأه لحياة فكرية في سبيل العروبة والإسلام والوطن العربي(4).

---

(1) أحمد توفيق المدني، حياة كفاح، ج1، المصدر السابق، ص 43.

(2) المصدر نفسه، ج2، ص 08.

(*) الشيخ مبارك الميلي: ولد الشيخ مبارك حوالي1316أو17هـ-1898 في شمال قسنطينة في قرية أرمان في ناحية (موزال) منها بأولاد مبارك وطن أبائه وأجداده، فابتهجت أسرته بميلاده ، وفرح والده وجده رابح فرحا عظيما بنعمة الولد المبارك، وفي شهوره الأولى توسما فيه النجابة والصلاح وقوة الشخصية فعلقا فيه آمالهما الكبيرة للأسرة والوطن، انظر: محمد علي دبوز، أعلام الإصلاح في الجزائر،ج3.

(3) رابح لونيسي، التيارات الفكرية في الجزائر المعاصرة بين الاتفاق والاختلاف 1920-1954م، (د ط)، دار كوكب العلوم، الجزائر، 2009م، ص 365.

(4) محمد الصالح الصديق، شخصيات فكرية وأدبية، (د ط)، دار الأمة، الجزائر، 2010، ص 319.

تخرّج أحمد توفيق المدني من الزيتونة والخلدونية وشارك في الصحافة والسياسة والحياة الحزبية، لكن ذلك قد جلب عليه نقمة الإدارة الفرنسية التي نفته إلى موطن آبائه وأجداده الجزائر عام 1925م[1].

المبحث الثالث: آثاره الفكرية

اعتمد الاستعمار الفرنسي في الجزائر على سياسة التفقير والتجهيل، وما انجرّ عنهما من التقتيل، والتشريد والأمراض، فقد طبّق هذه السياسة بكل قسوة، وغلو وشراسة، كما استولى على كل ممتلكات المواطنين خاصة الأراضي المقدرة بثلاثة ملايين هكتار، وفوق كل ذلك قام بتدمير كل مؤسسات التعليم العربي، وتخريبها وحوّلها إلى اصطبلات لتربية الخنازير[2]، فقد كانت الجزائر آنذاك مذلولة مقهورة مضروب عليها بقبضة من حديد حسيًا ومعنويًا، وما زادها عزلة وغُربة اقتناع الرأي العام الأجنبي أنّ الجزائر لا تُشكل جزءًا من العالم العربي أو الإسلامي، وإنما هي قطعة من فرنسا، حسب ما أشاعت هذه الأخيرة[3]،ولم تكف عن الاتصال بإخوانها في العالمين العربي والإسلامي، وبوسائلها الخاصة، متخطية كل العقبات والحواجز، إذ تمكن بعض الشخصيات من الذهاب إلى المشرق العربي ودمشق وحملوا علومهم وأفكارهم بثّها في الوسط الجزائري المتعطش إلى العربية والعلوم الصحيحة[4]. ومن هؤلاء الشخصيات البارزة في ظل هذه الظروف العصيبة الشيخ أحمد توفيق المدني الذي يعتبر من الشخصيات المهمة، ولعلّ آثاره المكتوبة والصادرة في أغلبها خلال الفترة

(1) أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج7، المرجع السابق، ص 418.

(2) يحيى بوعزيز، أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1995، ص 48.

(3) عبد الرحمن بن إبراهيم بن العقون، الكفاح القومي والسياسي من خلال مذكرات معاصر 1920-1936م، ج1، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص 55.

(4) المرجع نفسه، ص 55.

الاستعمارية تدل على شأنه الهام ودوره الفكري في مواجهة التغريب الذي مارسته فرنسا[1]،إذ ساهم في إعادة الروح الوطنية إلى الجزائريين فيما بين الحربين العالميتين، فهو صحفي ومؤرخ باللغة العربية منفتح على الثقافة الفرنسية، حيث وجد نفسه مقتحمًا الحياة السياسية والثقافية لتونس والجزائر وكلاهما يعدّ وطنًا له، ولم يُؤدِّ طرده إلى إصابته بالإحباط أو الاستسلام بل واصل نضاله السياسي والثقافي رغم الظروف التي كانت سائدة في الجزائر آنذاك[2]، وهو القائل: «وأني لأعتبر نفسي مُجرمًا إذا أنا عمرت بياض صحيفة بكلام لا يكون من ورائه أي نفع للشعب والبلاد»، فالأديب والكاتب في نظره لا يكون لائقًا بحمل هذا اللقب الشريف إلاّ إذا كانت كتاباته مرآة صقيلة تتجلى عليها صورة نفسه، صورة نقية بفضائل الأخلاق والكرامة[3].

للمدني مؤلفات عديدة معظمها في التاريخ العام للمغرب العربي (شمال أفريقيا) والجزائر خاصة[4].

ومن هذه الكتب نذكر **تقويم المنصور**[5]، هذا الأخير كان في شكل مجلة شملت خمسة أجزاء، حيث أصدر الأجزاء الثلاثة الأولى بتونس بداية من عام 1922م، وأصدر الجزئين الرابع والخامس في الجزائر سنوات 1926م و 1929م[6]، يحتوي تقويم المنصور

(1) بلقاسم ميسوم، الملتقى الوطني الأول في الأبحاث والدّراسات التاريخية في الجزائر بعد خمسين سنة من الاستقلال، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 25–26 جمادى الثانية 1432 هـ الموافق لـ 6–7 ماي 2013م، ص 15.

(2) أحمد توفيق المدني، حياة كفاح، ج2، المصدر السابق، ص 15.

(3) أحمد توفيق المدني، "كلمة أخيرة"، الشهاب، العدد 100، 1927/05/30، ص 08.

(4) أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج7، المرجع السابق،ص 419.

(5) أحمد توفيق المدني، حياة كفاح، ج2، المصدر السابق، ص 14.

(6) عبد القادر خليفي، المرجع السابق، ص 104.

على فصول عدّة، الهدف منها بعث الضمير ولفت الانتباه لما تزخر به الجزائر من جمال سياسي وقدرات في مختلف مجالات التنمية(1).

كما يحتوي تقويم المنصور على 320 صفحة وفيه نحو مائة صورة من أهم أبوابه "حديث السنة"، "قدم العربية في إفريقيا الشمالية"، "اكتشاف أجدادنا لأمريكا قبل الأوروبيين"، "بحث مستفيض في دولة عبد المومن بن علي"، "مرآة العالم"، "خلاصة صافية عن أفغانستان"، "خلاصة عن حوادث العالم الإسلامي"، "أهم الحوادث العالمية بالصور"، "عرائس الأفكار"، "قصائد خاصة للتقويم لأكثر شعراء شمال إفريقيا"، "مشاهير المتوفين في العالم الإسلامي خلال السنة"(2).

وعليه فإنّ تقويم المنصور احتوى على معلومات قيّمة وبين مؤلفه اهتمامه بالتاريخ والسياسة والحوادث الجارية ومعرفته باللغة الفرنسية، كذلك من موضوعات **تقويم المنصور**: الوجود الفينيقي في أمريكا مع لوحة عليها كتابات منسوبة إلى بحارة فينيقيين(3).

إذْ يُعدُّ أحمد توفيق المدني صاحب تقويم المنصور الكاتب القدير والخطيب والخبير المفكر، لأنّ كتابه هذا كتاب جامع مفيد لاحتوائه على المواضيع الهامة والترتيب المتناسب، والانتقاء الحكيم والمظهر الصحيح المشرق لأدب العربية في شمال إفريقيا(4).

كما يعتبر تقويم المنصور موسوعة للعلوم والجغرافيا والآداب والتاريخ والسياسة والحوادث والتراجم(5).

---

(1) أحمد توفيق المدني، حياة كفاح، ج2، المصدر السابق، ص 14.

(2) عبد الحميد بن باديس، "تقويم المنصور"، الشهاب، م 5، ج3، دار الإسلام، السنة الخامسة 1929-1930، ص134.

(3) أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ص 296.

(4) عبد الحميد بن باديس، "تقويم المنصور"، الشهاب، م 5، جمادى الأولى 1948م، المطبعة الجزائرية، قسنطينة، ص 471.

(5) أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 5، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ص 296.

أمّا مؤلفه الآخر فكان بعنوان "**قرطاجنة عبر العصور**"، هذا الكتاب نموذجًا حيًا لتاريخ المقاومة البربرية ضد الاحتلال الأجنبي، ممّا جعله يترك تأثيرًا كبيرًا على بعض أصحاب النزعة البربرية[1].

تمتد الفترة التي تناولها هذا الكتاب من العصور الحجرية مرورًا بالمقاومات البربرية ضد الغزاة و انتهاءًا بالفتح الإسلامي، أين انتهى تشكيل الأمة الجزائرية الحالية،هذا الكتاب "قرطاجنة عبر أربعة عصور" اختار له أحمد توفيق المدني أبدع الصور الأثرية التي لم يسبق نشرها إطلاقًا في اللّغة العربية، وطبع له مصور جغرافيا لكامل المغرب العربي كبير الحجم، واضح الشكل، كُتب بخط الأخ عمر راسم الجميل[2]، قدّمه للطبع بتونس في دار المطبعة الأهلية، ثم أعلن عنه للصحف بشمال إفريقيا عامة، وعرف هذا الكتاب إقبال كبيرًا خلال الشهران الأوّلان ، ويُلاحظ في كتاب "قرطاجنة عبر أربعة عصور" محاولة من كاتبه لقراءة الحاضر الاستعماري الفرنسي بعيون الماضي، ونجد لديه تعاطفًا كبيرًا مع القرطاجيين، فهم يشبهون العرب الفاتحين حيث أخرجوا البربر من الظلم إلى النور، مثل هؤلاء الأخيرين، أمّا الرومان فيشبهون الاستعمار الفرنسي، حتى من ناحية الملكية الزراعية حيث أصبح البربري تحت سلطة روما، لا يملك شبرًا من الأرض، فالأرض كانت ملكًا للرومان[3].

كتاب الجزائر: الذي نشره عام 1931م[4].

استهل هذا الكتاب بجملة من النصائح للشباب الجزائري التي تمحورت في حثّ الشباب على ضرورة العمل من أجل هذا الوطن وضرورة معرفة كل شيء عن بلادهم

---

(1) رابح لونيسي، التيارات الفكرية في الجزائر المعاصرة بين الاتفاق والاختلاف، المرجع السابق، ص 366.

(2) أحمد توفيق المدني، حياة كفاح، ج2، المصدر السابق، ص 162.

(3) رابح لونيسي، التيارات الفكرية في الجزائر المعاصرة، المرجع السابق، ص 366.

(4) المرجع نفسه، ص 367.

الجزائر، واتخاذ شعار العربية لغتنا، والجزائر وطننا، والإسلام ديننا، وأنّ التوفيق من الله تعالى[1].

جاء "كتاب الجزائر" كرد فعل على الاحتفالات المئوية باحتلال الجزائر، ويقول المؤلف أنّ الهدف من وضعه هو كشف الزيف الاستعماري حول تاريخ الجزائر، ويُضيف: «إنّكم ترونَ كما رأيت أنّ أبناء العربية في الجزائر يجهلون عن الوطن الجزائري كل شيء، ولهذا جمعت لكم بين دفتيه ما يجب على كل جزائري مسلم أن يعرفه عن بلاده»[2].

أولى أحمد توفيق المدني اهتمامًا كبيرًا بتاريخ التواجد الفرنسي ومختلف ردود الفعل الجزائرية اتجاهه، وقد ذكر فيه كذلك مراحل تطور هذه الأمّة الصغيرة في إطار الأمّة الكبيرة، وجهادها ومساهمتها في إطار الحضارة الإسلامية، كما ذكر تفاصيل الاستعمار الفرنسي في مراحله العديدة[3].

مؤلف الكتاب لم يقتصر على التاريخ فقط بل حاول جمع ما يتعلق بالجزائر ماضيًا وحاضرًا، ولهذا جاء المؤلف على شكل كتاب تاريخ الجزائر "حسب تعبير أبو القاسم سعد الله"[4].

- **محمد عثمان باشا داي الجزائر:** نُشر عام 1937م[5].

استهدف كشف وفضح الدّعاية الاستعمارية القائلة بأنّ فرنسا أنقذت الشعب الجزائري من ظلم وجبروت "الحكم التركي"، قسّم المدني كتابه إلى تمهيد وأربعة أقسام، تناول في التمهيد تاريخ العهد العثماني في الجزائر الذي اعتبر أنّه وضع الشخصية الدولية

---

(1) أحمد توفيق المدني، كتاب الجزائر، دار البصائر، 2008، ص 5.

(2) رابح لونيسي، المرجع السابق، ص 368.

(3) مولود قاسم نايت، "تعقيب السيد مولود قاسم نايت بلقاسم على كلمة السيد أحمد توفيق المدني"، مجلة الأصالة، العدد 16، ص 172.

(4) رابح لونيسي، المرجع السابق، ص 368.

(5) أحمد توفيق المدني، مذكرات أحمد الشريف الزهار، (د ط)، الشركة الوطنية للتوزيع، الجزائر، 1974، ص 06.

للجزائر،ودافع عنها ووحدها وأسس دولتها، ويتميز هذا التمهيد بالمقارنات التي قام بها المؤلف بين ما كان يحدث في كل من الجزائر وأوروبا في نفس الفترة في مجال القرصنة، ففي القسم الأول خلاصته عن أبرز الحكام، وأهم الأحداث التي عرفتها الجزائر إبّان العهد العثماني[1]،في القسم الثاني تناول سيرة الداي الباشا البطل وكان هذا أوّل كتاب أماط اللثام عن حقيقة الوجود العثماني التركي بالجزائر، وكان هذا الكتاب مفاجأة للناس ومنارًا للباحثين، وضربة قاسية في وجه الاستعمار [2].

أمّا القسم الثالث والرابع فهي مجرد ملاحق له [3].

- **المسلمون في جزيرة صقلية:** صدر في سنة 1946م، يحتوي على 256 صفحة[4].

اعتبره الشيخ أحمد توفيق المدني تمهيدًا لدراسة تاريخ المسلمين في صقلية، وقدم في هذا الكتاب بعض الآراء والأفكار حتى تُعرض على مجال البحث والمناظرة للوصول إلى الحقائق التاريخية[5].

تناول هذا المؤلف مدى مشاركة المسلمين الصقليين في بناء هيكل المدينة الحاضرة[6]، نشره خلال الفترة الاستعمارية، أراد من خلال مؤلفه هذا إبعاد الشبهة والشكوك الاستعمارية اتجاهه، كما أنّه عملية تمويهية منه وبخاصة بعد التهديدات التي تلقاها مباشرة عقب الحرب العالمية الثانية، وبالضبط بعد مجازر 8 ماي 1945، مما جعله يُلازم بيته،

---

(1) رابح لونيسي، المرجع السابق، ص 369.

(2) أحمد توفيق المدني، مذكرات أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص 06.

(3) رابح لونيسي، المرجع السابق، ص 369.

(4) عبد القادر خليفي، المرجع السابق، ص 113.

(5) أحمد توفيق المدني، المسلمون في جزيرة صقلية،(د ط) ،عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2010، ص07.

(6) المصدر نفسه، ص 04.

وأخذ يفكر في تمضية الوقت بتأليف كتاب لا يمس الحالة الحاضرة ولا يمت للجزائر بسبب[1].

أمّا عن دافع تأليفه فقال: « صفحة التاريخ الإسلامي بصقلية لم تكتب بعد ولم يقبض الله لها من يفردها بدراسة قيّمة.... فيكاد يُخيّل إليك وأنت تتلوا كتب التاريخ القديمة أنّ مقام المسلمين بصقلية ما كان إلاّ سلسلة حروب وفتن واضطرابات.... وتلك لعمري هفوة من مؤرخينا علينا أن نتداركها وعلينا أنْ نسد هذه اللثمة في هيكل تاريخنا القومي العربي»[2].

- **حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا:** محتوى هذا المؤلف تعطي فكرة عن اهتمامات المؤلف، فبعد تمهيد طويل عن ثلاثة قرون التي سبقت صلة الجزائر بالعثمانيين يُقسم بقية الكتاب إلى تسعة عشر فصلاً تتناول أسباب وصبغة العدوان قبل ظهور العثمانيين ثم بعد ظهورهم، ورد الفعل للعدوان، وشخصية خير الدين، وعلاقة الإسبان بدولة بني زيان وحملة شارل الخامس (شارلكان) ضد الجزائر[3].

وعليه فإنّ كتاب "حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا"، بيّن فيه حقيقة التواجد العثماني بالجزائر، وهو أنّ ذلك الوجود ما كان إلاّ فترة بطولية من تلك الملحمة الرهيبة التي شنتها أوروبا الصليبية ضد الإسلام[4].

سيظل هذا المؤلف عمدة في ميدانه إلى وقت غير قصير، فقد استعمل فيه المؤلف وثائق هامة بوبه تبويبًا سهلاً، ووجد فيه روح المؤلف يبحث عن الحقيقة، وروح سياسي

(1) رابح لونيسي، المرجع السابق، ص 370.

(2) أحمد توفيق المدني، المسلمون في جزيرة صقلية، المصدر السابق، ص 07.

(3) أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج4، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1996، ص 348.

(4) أحمد توفيق المدني، مذكرات أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص 06.

وطني، فجاء الكتاب قطعة عمل هامة يجد فيها الباحث المتخصص آراء مضيئة ويجد فيها الطالب والمثقف العادي مادة تستثير الذهن والعاطفة وترسم الاتجاه[1].

كذلك من بين الموضوعات التي تناولها هذا الكتاب دور حسن بن خير الدين وشخصية صالح رايس و موقف الشعر الجزائري والنظام الإسباني في وهران وإنقاذ وهران من الإسبان[2].

من عنوان الكتاب نُدرك أنّ موضوعه عسكري دبلوماسي –سياسي– ولقد لخص المدني الأسباب التي دفعته لكتابة مؤلفه في ثلاثة: أنّ الفترة التي يغطيها شهدت ميلاد الدولة الجزائرية الحقيقية لأول مرة في تاريخها، ولأنّ هذه الدولة جاءت نتيجة لحملة صليبية استعمارية هوجاء، ثم لتصحيح الفكرة الخاصة بتدخل الأتراك في هذه المعركة الحاسمة[3].

يُعدّ كتاب "حرب الثلاثمائة سنة" عمل تقدمت به صناعة التاريخ الجزائري، فالمؤلف يعرف التاريخ بأنّه عرض وتحليل وتعليل وحكم، ويُعرّف المؤرخ الحق بأنّه حاكم نزيه حر الضمير، يدرس الوثائق والمستندات ويستخرج الحقائق من بين النصوص، ويصدر حكمًا عادلاً، لا عاطفة ولا رياء، ولا محاباة[4].

- مذكرات أحمد الشريف الزّهار:

تناول تاريخ الجزائر خلال العهد العثماني، وقدّم حقائق تاريخية خلال هذا العهد الذي ظلم كثيرًا، إذْ قدّم عنه الاستعمار وأعوان الاستعمار صورة قاتمة ليس لها صلة بالحقائق التاريخية[5].

---

(1) أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج4، المرجع السابق، ص 349.

(2) المرجع نفسه، ص 149.

(3) أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج4 ، المرجع السابق، ص 348.

(4) المرجع نفسه، ص 349.

(5) أحمد توفيق المدني، مذكرات أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص 05.

وفي هذا الكتاب تطلب من المؤلف أن يستعين بوثائق ومستندات عثر عليها في مدريد واسطنبول، حيث ساعده الحاكم التركي في الوصول إلى الأرشيف[1].

كما يقول المدني أنّ المذكرات مقسّمة إلى قسمين: قسم يبدا من سنة 910 أي بداية العهد العثماني، ويحتمل أن يكون هذا القسم قد ضاع، أمّا القسم الثاني فيبدأ من سنة 1168م وينتهي بالاحتلال الفرنسي، وهذا القسم الذي قدّمه الشيخ المدني بعد أنْ عثر على النسخة الوحيدة منه لدى الشيخ محمود الشريف حفيد المؤلف[2].

تعتبر مذكرات أحمد الشريف الزّهار أقرب إلى السرد التاريخي والتجارب الشخصية والملاحظات العامة في الحياة ومجريات الأحداث، وصدرت من شخص مارس وشاهدها، كان يتحدث عنه وهو نقيب الأشراف في مدينة الجزائر، والذي كانت له مكانة مرموقة لدى الشعب والحكام، عاصر الاحتلال الفرنسي وكان عمره حوالي 50 سنة[3].

- حنبعل:

وهي رواية مسرحية عُرضت في مسرح الجزائر في 1948م، وهي تروي ملحمة بطل قرطاجة ونهايته[4].

كذلك "**ردّ أديب على حملة أكاذيب**":

وهو الجزء الرابع المتمم لمذكراته وفيها إفادات غير منشورة[5].

يمكننا في ختام هذا الفصل أنّ نخرج بالنتائج الآتية:

---

(1) أحمد توفيق المدني، حياة كفاح، ج2، المصدر السابق، ص 16.
(2) أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج7، المرجع السابق، ص 458.
(3) أبو القاسم سعد الله،تاريخ الجزائر الثقافي، ج7، المرجع السابق، ص 457.
(4) أحمد توفيق المدني، حياة كفاح، ج2، المصدر السابق، ص 16.
(5) المصدر نفسه، ص 17.

أولاً: أنّ أحمد توفيق المدني تربى وترعرع في بيئة شريفة ومُحافظة، تُولي عناية كبيرة للعلم والموروث الثقافي الثوري، كما أنّ عائلته ميسورة الحال من الجانب المادي لكنها ساهمت في النشأة الفكرية والثقافية لتوفيق المدني.

ثانيًا: تعتبر أُمه المدرسة الأولى التي أخذ منها مبادئ العلم والمعرفة، من خلال نصائحها حول الخير والشر، وكذلك مساهمتها في تدرسيه بعض سور القرآن الكريم وبعض الأحاديث النبوية التي كانت تسمعها من أبيها.

ثالثًا: التحق الشيخ المدني إلى الكُتاب القرآني في سن الخامسة من العمر، وهناك تلقى العديد من العلوم المتعددة، القرآنية واللّغوية التي فتحت ذهنه وأظهرت موهبته الفكرية، وتطورت قدراته الفكرية بعد التحاقه بالمدرسة الخلدونية، وبجامع الزيتونة مركز الإشعاع الفكري آنذاك.

رابعًا: تعرض المدني للسجن من قبل سلطات الاستعمار، وقد ساعده هذا في تعلّم وإتقان اللّغة الفرنسية.

خامسًا: كان لأحمد توفيق المدني العديد من المؤلفات القيّمة التي عالجت فترات هامة من التاريخ الوطني، وزودت أبناء الجزائر بالكثير من المعلومات حول تراثهم وتاريخهم، ورفعت اللبس والغموض على الكثير من الحقائق الزائفة.



المبحث الأول: دوره في الجمعيات الأدبية.

المبحث الثاني: نشاطه الصحفي.

المبحث الثالث:دوره في جمعية العلماء المسلمين الجزائريين.

تناولنا في هذا الفصل النشاط الثقافي لأحمد توفيق المدني في الجزائر من 1925 إلى 1954م، حيث تطرقنا في المبحث الأول إلى دوره في الجمعيات الأدبية، وذلك من خلال دوره في المسرح، وفي الجمعية الخيرية وأيضًا نادي الترقي، أمّا المبحث الثاني فسوف نعرض نشاطه الصحفي من خلال عدّة جرائد ومجلات منها البصائر والشهاب.

كما عملنا في المبحث الثالث على معرفة الدّور الذي لعبه أحمد توفيق المدني في جمعية العلماء المسلمين الجزائريين.

المبحث الأول: دوره في الجمعيات الأدبية

1- دوره في المسرح:

اهتم أحمد توفيق المدني بالميدان المسرحي منذ كان متواجدًا بتونس، وأكمل هذا المسار عند قدومه للجزائر، حيث لاحظ ركودًا في هذا المجال، ففي سنة 1930م اعتبر أنّ التمثيل حضي بإهمال كبير من قبل الجزائريين، لكنه في نفس الوقت أشار إلى بعض الفرق التي كانت في العاصمة لكنها سرعان ما اختفت بعد تمثيل مسرحية أو اثنين، كما أقرّ أنّ جوق مدينة الجزائر كان يُمثل بعض المسرحيات كل سنة خلال شهر رمضان، وهي روايات مأخوذة من ألف ليلة وليلة، وكانت تُمثل باللهجة العامية ومقتبسة من مسرحيات فرنسية[1].

بدأت النواة الأولى لتُشكل الأدب الجزائري نتيجة للواقع المزري والمرير الذي عاشه الشعب الجزائري في مختلف المجالات من فقر مدقع وبطالة وأمراض خطيرة، بالإضافة إلى انتشار الجهل والأميّة، ضِفْ إلى ذلك أيضًا السياسة المنتهجة من قِبل المستعمر اتجاه السكان العزل، فهذا الأديب رافض للاستعمار وفاضح للسياسة التعسفية ضد شعب يُدافع عن أرضه وعرضه، ولقد بدأ ذلك مع كتابات بعض الإصلاحيين بزيادة زعماء جمعية

(1) أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي ، ج7، المرجع السابق، ص 421.

العلماء المسلمين الجزائريين[1]، إذ يعتبر أحمد توفيق المدني على رأسهم، فهذا الأخير صرّح آنذاك لضرورة النهوض والتقدم نحو إنشاء المسرح العربي ولمِّ الشمل والإتحاد لتحقيق هذا الهدف المنشود، لأنّ المسرح حسب رأيه له رسالة خاصة ونبيلة وهي الارتقاء بالأخلاق والآداب، والذوق الاجتماعي، وكذلك تعليم العربية والمحافظة عليها لأنّ المستعمر يسعى إلى فرنسة الأمة الجزائرية والقضاء على مقوماتها[2]،فالمسرح صورة حيّة مُعبِّرة عن المجتمع الذي وُجد فيه، لأنّه يتناول أوضاعهم الاجتماعية والاقتصادية وحتى الدينية، والسياسية أيضًا، فهو يرتبط بحياة الناس وأحوالهم، فكلما حدث تغير في المجتمع إلاّ واكبه في ذلك[3].

ان المتتبع لأعمال وإنجازات أحمد توفيق المدني يُلاحظ أنّه أَولى اهتمامًا كبيرًا للمجال المسرحي، فمن أهم إنجازاته في هذا المجال هو مسرحية تحت عنوان "حنبعل"، فهذه الأخيرة تصوِّر لنا قوة وشجاعة البطل الإفريقي العظيم حنبعل وتصديه للأعداء الرومان، ومدى تحليه بالروح الوطنية في الدّفاع عن الوطن والحضارة القرطاجية أيام الحرب البونيقية الثانية في القرن الثالث قبل الميلاد، فالشيخ أحمد توفيق المدني من خلال هذه المسرحية أحيا لنا بطولات وأمجاد رجال عظماء، كتبوا أسمائهم في تاريخ المغرب العربي والعالمي بأحرف من ذهب، وبيّن كذلك عزم الوطن المغاربي في كفاحه المستمر ضد الطغاة الأجنبيين منذ القدم إلى يومنا هذا من أجل العيش في استقلال وأمن وسلام[4].

---

(1) إيمان العامري، صورة الثورة التحريرية في الرواية الجزائرية باللّغة الفرنسية، مجلة البحوث والدّراسات الإنسانية، العدد 10، 2015، جامعة 20 أوت 1955، سكيكدة، ص 173.

(2) أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي،ج7، المرجع السابق، ص 422.

(3) أبو زيد قاسم، المسرح عند سعد الله ونوس، "مغامرات رأس المملوك جابر"، مذكرة مقدّمة لنيل شهادة الماجستير في الأدب العربي، تخصص مسرح عربي، كلية الآداب واللّغات، قسم اللّغة العربية وآدابها، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2011/2010، ص 35.

(4) أبو محمد، رواية حنبعل، البصائر، العدد 140، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ص 04.

اختيار عنوان المسرحية "حنبعل" لم يكن من باب الصدفة فهذا الأخير يرمز للوحدة الوطنية والتضحية في سبيل الوطن من أجل طرد الغزو الأجنبي الظالم ومغتصبي الأرض دون حق والتنكيل بالشعوب واستغلالها فوقف هذا البطل "حنبعل" الند للند في وجه الرومان، أمّا عن الظروف الزمانية والمكانية المختارة من قِبل المؤلف تعتبر دليل واقعيته لأنّ الشعب الجزائري كان يعيش هدوء ما قبل العاصفة[1]،والظروف التاريخية توحي بهذا الموضوع، والمتمثل في ضرورة البحث عن زعيم سياسي محنك قوي وشجاع ثائر، يسعى إلى نشر روح المقاومة والروح الوطنية في نفوس الأمة الجزائرية للدفاع عن أرضها والوقوف في وجه الاستعمار الفرنسي لإخراجه منها ويقود الشعب يُوجهه نحو الهدف، وينقذ البلاد من العبودية والاستغلال الاستعماري الذي ينهب فيها نهبًا دون رحمة أو شفقة، على السكان فلا فرق عنده بين رجل وإمرأة أو شيخ وطفل[2].

لقد قام بتمثيل هذه المسرحية السيد محي الدين باش تارزي في مسرح الأوبرا[3]، جسد من خلالها المؤلف النزاعات والخلافات الواقعة بين زعماء قرطاجنة وأرضهم المحتلة، وهذا فيه إشارة إلى الخلافات الواقعة بين الأحزاب السياسية الجزائرية، في وقت كان لابدّ من ضرورة الإتحاد والتفاهم لخوض معركة ضد الاستعمار الغاشم وتوجيه الكلمة للتغلب عليه وهزمه[4].

مسرحية حنبعل ذات هدف سياسي لأنّ الكاتب أهداها إلى الشباب المغربي ككل، حامل راية الكفاح من أجل الحرية وشرف الوطن، إذ يقول على لسان حنبعل: «إنّ من

---

(1) عبد القادر خليفي، المرجع السابق، ص 120.

(2) عبد الملك مرتاض، فنون النثر الأدبي في الجزائر 1931–1954م، (د ط)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983، ص 210.

(3) أحمد توفيق المدني، حياة كفاح، ج2، المصدر السابق، ص 544.

(4) عبد المالك مرتاض، فنون النثر الأدبي في الجزائر 1931–1954، المرجع السابق، ص 211.

اعتبر رجال الشعب عبيدًا صبرهم من لا يفكرون إلاّ في الانتقام إنْ عِشنا فالوطن لنا جميعًا وإنْ متنا فالوطن لأبنائنا من بعدنا إلى الأبد». وكذلك: «إنّ العدو عدو دائمًا»، وللمدني مقولة مشهورة تمثلت في «لقد ولدتنا أمهاتنا أحرارًا»[1].

استقى المدني موضوع المسرحية من أمجاد وبطولات الرجال الذين صنعوا التاريخ في الماضي البعيد، وطبق تلك الحوادث على حاضر الشعب الجزائري ومستقبله تطبيقًا دقيقًا، ودليل ذلك كما أسلفنا الذكر إهدائها إلى كل الشباب المغاربي، ولم يقتصر على أبناء الشعب الجزائري فقط، فالمدني يُبرز من خلال أحداث هذه المسرحية أنّ المغاربة تجمعهم وحدة تمتد منذ العصور القديمة إلى وقتنا هذا[2].

لقد أحدثت هذه المسرحية صدى كبير على مستوى أنحاء المغرب العربي وليس فقط في الجزائر، إذ تداولتها إذاعات عالمية من بينها إذاعة لندن الناطقة باللّغة العربية، وقامت بتمثيلها بإتقان عدة مرات، فوصل صداها إلى كل العرب في مختلف أنحاء العالم، كما قامت بطبعها وحققت انتشارًا واسعًا، وذاعت ومُثِّلت بالجزائر وتونس أكثر من مائتي مرة[3]،فمن خلال هذه المسرحية نُلاحظ أنّ الأدب الجزائري لا يبتعد عن مخاض الأحداث التي يعيشها المجتمع. فالمتتبع لمسرحية حنبعل من الوهلة الأولى يرى أنّ أحداثها مجرد أحداث وقعت في ماضٍ بعيد، لكن هذا الرأي خاطئ، لأنّ المدني أراد أن يُبرز في هذه المسرحية أنّ التاريخ يُعيد نفسه، وأنّ الجزائر تمرُّ بنفس الأحداث والظروف التي مرّت بها قرطاجنة في القرن الثالث قبل الميلاد، فالمسرح لا تحيا روحه إلاّ باحتكاكه بواقع وقضايا

(1) أبو القاسم سعد الله، دراسات في الأدب الجزائري الحديث، ط5، دار الرائد للكتاب، الجزائر، 2007، ص 63.
(2) عبد المالك مرتاض، فنون النثر الأدبي في الجزائر، 1931–154، المرجع السابق، ص212.
(3) أحمد توفيق المدني، حياة كفاح، ج2، ص 544.

المجتمع[1]،هذه المسرحية يمكن تصنيفها ضمن المسرح السياسي، هذا الأخير يتميّز بكشفه لمختلف الصراعات القائمة داخل البلد والصراعات التي بين السلطة والشعب، أو الصراعات بين الأحزاب السياسية، وهو مسرح يهدف إلى استفزاز المتتبعين ويعرض واقع وأوضاع المجتمع المتردية ومشاكله التي تتخبط فيها بنوع من التحليل قصد التنوير، حيث يسمح للشخص المتتبع ان يُكوِّن اتجاهاً فكريًا معينًا ويكون على دراية تامة بما يُحيط به، وما يحدث من حوله من أحداث سياسية[2].

يعتبر الفن المسرحي من الفنون الأدبية التي عرفت ظهورًا وتطورًا مغايرين في الجزائر، حيث ارتبط ظهوره بالأوضاع التي عاشتها البلاد إبّان التواجد الاستعماري الظالم لأنّ هذا الأخير كان السبب المباشر وراء تأخر الحركة الفكرية مرحلة المقاومة التي ظهرت وتطورت مباشرة بعد الاحتلال، وذلك لأنّ سلطات المستعمر الفرنسي وقفت في وجه دخول المنشورات العربية إلى الجزائر[3].

كما قامت سلطات الاستعمار بمطاردة ومحاربة المثقفين والمفكرين إذ تعرضوا للسجن والاعتقال، والتعذيب والقتل أحيانًا أخرى، من أبرز هؤلاء المفكرين والمثقفين نذكر: "العربي التبسي"، "عبد الكريم العقون"، وهو رموز الأدب والثقافة بالجزائر[4].

---

(1) نوال بومعزة، الثورة الجزائرية في الرواية العربية الجزائرية من الواقع إلى المتخيّل، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، (د س ن)، ص 01.

(2) أبو زيد قاسم، المسرح عند سعد الله ونوس، المرجع السابق، ص 39.

(3) نجية طهاري، بناء الشخصية في مسرح أحمد رضا حوحو، رسالة مقدّمة لنيل شهادة الماجستير في الأدب العربي، تخصص مسرح جزائري، جامعة الحاج لخضر، باتنة، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب واللّغات، 2011/2010، ص 33

(4) نجية طهاري، بناء الشخصية في مسرح أحمد رضا حوحو، المرجع السابق، ص 33.

2- دور الشيخ أحمد توفيق المدني في الجمعية الخيرية الإسلامية:

لقد عرفت الجزائر العديد من الحركات الإصلاحية، ولقد كان من أبرز نتائج هذه الحركات تأسيس العديد من الجمعيات الخيرية وكذلك تأسيس المدارس العلمية، ولقد ترأس هذه الحركة العلمية رجال محاضرون وعاملون في مقدمة هؤلاء، رجال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وتُعتبر الجمعية الخيرية من بين تلك الجمعيات التي أصبحت جمعية الأمة الجزائرية[1].

تم تأسيس هذه الجمعية في 1933/12/22م، وكان مقرها نادي الترقي من عام 1934م إلى 1939م، وتعتبر جمعية بر وإحسان تكوّن قانونها الأساسي من خمسة فصول:

الفصل الأول: وهم ثلاثة مواد.

الفصل الثاني: ضم أهداف الجمعية والتي تمثلت في إسعاف المعوزين من الأفراد والعائلات وتقديم المساعدات المالية والمعنوية[2].

الفصل الثالث: تقديم يد المساعدة إلى عابري السبيل بالجزائر، أمّا الفصل الرابع فقد تناول المجلس الإداري للجمعية، وكان كالتالي: الرئيس هو الطيب العقبي، نائب الرئيس: توفيق المدني، لكنه استقال فيما بعد. محمد بن ونيش: نائب أول، عباس تركي نائب ثاني، شريف الزهار كاتب عام، محمد بن الباي أمين المال، زمرلي محمد نائبه، رشيد بطحوش نائبه، يوسف دامرجي مراقبه، عيساوي عثمان عضو مستشار، قاسم الحاج أحمد عضو مستشار، الحاج محمد بن العربي عضو مستشار، قرى العمري عضو مستشار، بوقدادن الطاهر عضو مستشار، عبد القادر حشلاف عضو مستشار، سلمة أحمد عضو مستشار، بالإضافة

---

(1) البصائر، العدد 32، 10 جمادى الثانية 1937، السنة الأولى، ص 05.

(2) لوناس الحواس، نادي الترقي ودوره في الحركة الوطنية الجزائرية 1927-1954، (د ط)، كنوز المعرفة، الجزائر، 2012، ص 25.

إلى أعضاء آخرين، أمّا الفصل الخامس: فتناول الانضباط داخل الجمعية، ولقد شمل هو الآخر على أربعة مواد[1].

شغل الشيخ أحمد توفيق المدني في هذه الجمعية نائب رئيس الجمعية وهو السيد الطيب العقبي، وكانت تقيم الجمعية العديد من النشاطات كان أبرزها احتفالات تُقام كل يوم اثنين هذا اليوم المصادق لعيد الفصح المسيحي، وهذه الاحتفالات تُقام في قاعة الماجستيك الكبيرة التي تتسع إلى حوالي ثلاثة آلاف من الجماهير، كما كانت تقوم بجمع الأموال من الحضور وكانت مدخراتها ضخمة جدًا، تُدَّم لفائدة مطعم الجمعية التي يستفيد منه مئات المساكين والمعوزين وكذلك مختلف شرائح المجتمع الضعيفة الدخل، وكان الشيخ المدني يقوم بإلقاء مختلف الخطابات والتصريحات في هذه الجمعية وكانت جلّ خطاباته تُنادي بضرورة التخلص من الاستعمار والعمل من أجل الاستقلال ونيل الحرية، وأنّه يجب الإتحاد والتآزر والسير نحو هذا الهدف[2].

كذلك من أهم نشاطات الجمعية أنّها كانت تقيم الاحتفالات بالمناسبات الدينية وغيرها، فمن هذه الحفلات الحفل الذي أُقيم يوم الثاني من أفريل من عام 1934م الذي عرف حضورًا جماهيريًا كبيرًا، واعتبر هذا الحفل أعظم إنجازات الجمعية، واعتبره نصرًا وإنجازًا ضخمًا يُبيّن مدى اليقظة الإسلامية بكل ما تحمله الكلمة من معنى في هذا اليوم المشهود[3].

([1]) لوناس الحواس، نادي الترقي ودوره في الحركة الوطنية الجزائرية، المرجع السابق، ص 26.

([2]) أحمد توفيق المدني، حياة كفاح، ج2، المصدر السابق، ص 372–373.

([3]) أبو محمد، اليوم الأغر، الشهاب، م 10، ج5، محرم 1352، ص 222.

وقد قامت الجمعية الخيرية الإسلامية جلستها العامة السنوية يوم السبت غرة فيفري عام 1936 بمقر الجمعية الكائن في ساحة العود عدد 9، وذلك قصد دراسة وتجديد انتخاب الهيأة الإدارية وكذلك لإدخال بعض التعديلات على بعض فصول القانون الأساسي[1].

كما أشارت الجمعية إلى أنّه يحق إلى كافة المشتركين الحضور، إذ أرسلت اوراق الاستدعاء الشخصي إلى جميع المشتركين والذي لم تصله ورقته عن طريق البريد يطلبها من مركز الجمعية، وذلك يوم السبت الأول من فيفري على الساعة الثانية عشرة إلى الساعة الخامسة مساءًا[2].

تعتبر هذه الجمعية من أهم وأبرز الجمعيات التي شهدتها الجزائر خاصة إبان التواجد الاستعماري على أراضيها نظرًا لدورها الفعّال سواء في الجانب الإنساني من تقديم الإغاثة والمعونة للسكان وكذلك إسهاماتها في الجانب السياسي من خلال الخطابات التي كانت تُنادي بالاستقلال، مثل خطابات المدني، وذلك لتنوير الرأي المحلي ونشر الوعي في أوساطه، وعلى هذا الأساس لقيت هذه الجمعية استحسانًا وقُبولاً كبيرًا من قِبل معظم المفكرين والمثقفين آنذاك، من أمثال الشاعر الاجتماعي محمد العيد الذي قال في شعره عن الجمعية:

دامت لنا حرما آمنا وجامعة * كبرى نلم بها الأحزاب والشيعا

خيرية تحت حزب ظل يكؤها * في جانب الله لا خوفًا وطمعا

على اسمها التف كالدوحات محتفلا * وباسمها اقترح الخيرات واقترعا[3]

كما قال أيضًا نفس الشاعر:

---

(1) كاتب مجهول، الجمعية الخيرية الإسلامية، البصائر، السنة الأولى، العدد 4، الجمعة 29 شوال 1354، دار الغرب الإسلامي، ص 07.

(2) المصدر نفسه، ص 07.

(3) أبو القاسم سعد الله، دراسات في الأدب الجزائري الحديث، المرجع السابق، ص 119.

يا دار شادك للخيرات أخيارٌ * فيضي على الناس بالخيرات يا دار

بشرى الجزائر صنعت اليوم صبيتها* كما تصون فراخ الطير أوكار [1]

لكن في أواخر عهد هذه الجمعية دبّ خلاف بين رئيسها الشيخ الطيب العقبي ونائبه السيد أحمد توفيق المدني، ويعود سبب هذا الخلاف إلى ترأس السيد المدني مجلس الجمعية واقترح تقديم يد المساعدة للأشقاء التونسيين الذي تعرضوا إلى كارثة طبيعية، تمثلت هذه المساعدة في عشرة الاف فرنك[2]، وألح المدني بضرورة تقديمها بأقصى سرعة، فوافق الجميع، لكنّ الطيب العقبي استاء من هذا الأمر، ورفضه رفضًا قاطعًا، وأكد على ضرورة الرجوع عن هذا القرار، ولقد انتهى هذا الخلاف بخيبة أمل كبيرة لدى السيد أحمد توفيق المدني وقدّم على إثرها استقالته من الجمعية الخيرية[3].

الشيء الذي لا يمكن الاختلاف فيه ولا يستطيع أحد أن يعارضه أنّ وجود مثل هذه الجمعية له دور كبير وفعّال في سير الأحداث والوقائع خاصة إذا كان البلد يُعاني من تواجد استعماري أجنبي على أرضه، وأنّ افتقار الأمم إلى الجمعيات ستعرضها إلى ضربة موجعة لأنّها تكون غير منظمة وعشوائية لا تملك القدرة على القيام بالأعمال المختلفة، لذلك فهي ضرورية خاصة في المجال السياسي، وتكمن أهميتها في حفظ تراثها ماجدًا في المجتمع يتوارثه الأحفاد عن الأجداد[4].

3- دور السيد أحمد توفيق المدني في نادي الترقي:

لقد شهدت الجزائر تأسيس الكثير من النوادي الثقافية التي قاومت الاستعمار ووقفت النّد للنّد في وجهه بكل ما أوتيت من قوة ومن وسائل، وذلك منذ أنْ وطئت أقدام الاستعمار

---

(1) أبو القاسم سعد الله،دراسات في الأدب الجزائري الحديث، المرجع السابق، ص 119.

(2) أحمد توفيق المدني، حياة كفاح، ج2، المصدر السابق، ص 375.

(3) المصدر نفسه، ص 375.

(4) أبو حفص عبد الله، تعدد الجمعيات في الجزائر، البصائر، العدد 7، السنة الأولى، 21 ذي القعدة 1354، ص 10.

الفرنسي الجزائر عام 1830م، من هذه النوادي نذكر نادي صالح باي بقسنطينة الذي سبق نادي الترقي في العمل، ولقد ترك الشيخ أحمد توفيق المدني بصمة أيضًا في المجال الثقافي تجسدت هذه البصمة في مساهمته في تأسيس نادي الترقي الذي يعتبر من أهم النوادي وأنشطها خلال الحقبة الاستعمارية[1].

لقد كان الشيخ أحمد توفيق المدني أوّل من دعى إلى فكرة بناء هذا النادي، حيث يقول في هذا الشأن: «أثناء حفل عشاء أُقيم لي بمنزل السيد محمد بن المرابط، من أكبر التجار الجزائريين أثناء صيف 1926 وكان يضم 32 رجلاً من أعيان الجزائر وفضلائها، تداولنا الحديث حول وضعية الجزائر وحول حاضرها ومستقبلها .... ثم يُضيف هلاًّ فكرتم في تكوين نادٍ كبير ضخم ممتاز يقع في أحسن حي ويُؤثث أحسن تأثيث يلم شملكم ويجمع شعثكم ....»[2]،تمّ بالفعل تأسيس هذا النادي الذي كان مقره بالعاصمة الجزائرية، وبالضبط في وسط العاصمة في الطابق الثاني من عمارة مقابلة للجامع الجديد لساحة الشهداء[3].

يعدّ هذا النادي أوّل نادٍ أُنشئ على النظام الحديث وذلك لما يحتويه من نظام راقٍ، بالإضافة إلى حسن الإدارة وكذلك اتّساع المساحة التي يوجد فيها، فقد ساهم هذا النادي بدور فعّال في تاريخ الجزائر الحديث، إذْ أنّه احتضن الحركة الوطنية منذ عام 1927م، وذلك لأنّه عمل دومًا على لمّ شمل اتجاهات الحركة الوطنية واعتُبِر مركز إلتقاء الأحزاب السياسية، بالإضافة إلى أنّه نقطة إلتقاء القادة لدراسة أوضاع المجتمع الجزائري ومصيره إبان التواجد الفرنسي بالجزائر[4].

([1]) أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج7، المرجع السابق، ص 418.

([2]) أحمد توفيق المدني، حياة كفاح، ج2،المصدر السابق، ص 165.

([3]) لوناس الحواس، نادي الترقي ودوره في الحركة الوطنية، المرجع السابق، ص 135.

([4]) أبو القاسم سعد الله، دراسات في الأدب الجزائر الحديث، المرجع السابق،، ص 116.

لقد طبع تأسيس نادي الترقي العديد من الظروف كان أهمها: تحضيرات فرنسا للإحتفال بمرور مائة سنة عن احتلالها الجزائر، كذلك حراك سياسي كبير كان ينشره دعاة الإصلاح[1].

كذلك تأسيس نجم شمال إفريقيا محركة نقابية ثم تحويله إلى حزب سياسي جزائري، بعد مؤتمر بروكسل سنة 1927م، إضافة إلى منح الاعتماد لإتحادية النواب المسلمين الجزائريين برئاسة شرفية لابن رحال ورئاسة فعلية لابن التهامي في 1927م، كذلك تحرك طلابي في الدّاخل والخارج من خلال نشاط جمعية طلبة شمال إفريقيا المسلمين بداية من سنة 1927م، وظهور صراعات بين رجال الإصلاح الباحثين عن التغيير بأي طريقة ضِف إلى ذلك أيضًا الأوضاع الاقتصادية المزرية وانتشار الأفكار الشيوعية[2]،ففي خضم هذه الظروف العصيبة التي يمر بها الوطن الجزائري لم يكن شعبه يعرف الاجتماعات، وذلك لأنّ سلطات الاستعمار الفرنسي كانت تقمع وتحرم أي اجتماع وقامت بوضع قوانين وإجراءات تقضي بمعاقبة أو سجن وحتى قتل أي شخص تشك في محاولته القيام بمثل هذه الأعمال، وعلى إثر ذلك كانت الأحزاب الجزائرية تفتقد إلى النظام داخل القطر الجزائري، حيث يقول المدني: «إلى أنْ وفقنا الله لوضع معقل بعاصمة القطر الجزائري، كان له تأثيره العظيم على الحالتين السياسية والاجتماعية وذلك هو نادي الترقي»[3]، حيث تمَّ افتتاحه في 1927/07/03م، وقد وصفه الشيخ أحمد توفيق المدني بأنّه يوم مشهود في تاريخ الجزائر، وذلك نظرًا للآمال والتطلعات التي يضعها قادة الحركة الوطنية في هذا النادي وآمالهم في

---

(1) لوناس الحواس، المرجع السابق، ص 133.

(2) المرجع نفسه، ص 133.

(3) أحمد توفيق المدني، هذه هي الجزائر، (د ط)، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، (د س ن)، ص 164.

تحقيق أهدافهم من خلاله والسير نحو التقدم والتطور للنهوض بالأمة في مواجهة ومحاربة المستعمر الغاشم الغاصب للأرض الجزائرية(1).

كما كان الغرض من إنشائه هو تنظيم وإقامة المهرجانات وإلقاء المحاضرات الأدبية والدينية، وذلك للحفاظ على مقوّمات الشخصية الجزائرية ونشر الروح الوطنية(2).

أول محاضرة احتضنها النادي كانت من طرف الشيخ عبد الحميد ابن باديس وكانت بعنوان "الاجتماع والنوادي عند العرب"، وبعد هذه المحاضرة توالت محاضرات أخرى من طرف أعضاء النادي ولقد كانت هناك محاضرات أسبوعية، تناولت مختلف القضايا الدينية والاجتماعية وحتى الثقافية، لكن هذه المحاضرات لم تتطرق إلى الشؤون السياسية أو الحديث عن المستعمر وعن سياسته داخل الوطن وذلك لأنّ سلطات المستعمر كانت شديدة الرقابة على مثل هذه النوادي وتقيدها في ممارستها ونشاطاتها المختلفة، إذْ لا يمكنها التطرق إلى كل المجالات إضافة إلى أن مؤسسي النادي هم جماعة من أعيان مدينة الجزائر، ولقد بلغ عدد المحاضرات التي أُلقيت فيه أكثر من أربعون محاضرة خلال سنة واحدة(3).

كان هذا النادي قِبلة للأدباء والشعراء، حيث تمّ إلقاء أروع الخُطب الحماسية، إضافة إلى أحسن القصائد(4)،فمن أبرز الشعراء والأدباء الذين لمعوا في سماء هذا النادي نذكر: محمد العيد والعمودي، وبوكوشة والزاهري، والسنوسي، والبدري، وأبو اليقظان وغيرهم من زعماء الأدب العربي، فقد قال عنه الشاعر القدير محمد العيد يُخاطبه:

صفت ساحتك الوجوه * وردت فيك الحكم

---

(1) لوناس الحواس، نادي الترقي، المرجع السابق، ص 143.

(2) نجية طهاري، بناء الشخصية في مسرح أحمد رضا حوحو، المرجع السابق، ص 43.

(3) لوناس الحواس، نادي الترقي ودوره في الحركة الوطنية، المرجع السابق، ص 150.

(4) عبد الرشيد زروقة، جهاد ابن باديس ضد الاستعمار في الجزائر، 1913-1940، ط1، دار الشهاب، 1999م، ص185.

فرأيت ما يحلو العمى * وسمعت ما يجلو الصمم

ودخلت ظلك أستجير * بـه وأنعم من الأمم

وأتيت ميدان اللسان * بـه وميدان القلم[1].

كما جرت داخل هذا النادي أبحاث هامة سواء في مستواها الشعبي أو العلمي، ولم يكن لجمعية العلماء هذا النادي فحسب بل كانت تملك العديد من النوادي، وهذا ما أكده الشيخ البشير الإبراهيمي بالقول: «أنّه كان للجمعية وحدها أكثر من سبعين ناديًا تحمل رسالتها وتضم أتباعها»[2].

من أهم إسهامات نادي الترقي أنّه حارب الاندماج أي دمج الجزائر بفرنسا وجعلها جزء لا يتجزأ منها، فهذا الأمر رُفض جملة وتفصيلا، إضافة إلى وقوفه في وجه من يطلب الجنسية الفرنسية أي أنّه حارب التجنيس أيضًا وذلك لأنّ التجنس يعتبر خطوة من قبل سلطات المستعمر تسعى من خلالها لجعل الجزائر قطعة فرنسية، فهذا النادي مكانته العظيمة في تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية، كيف لا وهو من انبثقت عنه جمعية العلماء المسلمين الجزائريين[3]. كما ركّز النادي على دعم التعليم العربي[4].

لقد كان الشيخ أحمد توفيق المدني يلقي خطاباته داخل هذا النادي وكانت كل خطاباته تُنادي بالإسلام ديننا والجزائر وطننا، والعربية لغتنا، واتخذ من هذا الشعار أساسًا لمقاومة الاستعمار الفرنسي[5].

---

(1) أبو القاسم سعد الله، دراسات في الأدب الجزائري الحديث، المرجع السابق، ص 116.

(2) عبد الرشيد زروقة، جهاد ابن باديس ضد الاستعمار في الجزائر، 1913–1940، المرجع السابق، ص 185.

(3) أحمد توفيق المدني، هذه هي الجزائر، المصدر السابق، ص 165.

(4) بشير بلاح ، تاريخ الجزائر المعاصرة1830–1989م،ج1، (د ط) ، دار المعرفة،الجزائر،(د س ن)، ص 333.

(5) أحمد توفيق المدني، هذه هي الجزائر، ا لمصدر السابق، ص165.

وللإشارة فإنّ أعضاء نادي الترقي في المكتب التنفيذي هم الرئيس الأول للنادي محمود بن ونيش، وأمين المال محمد بن مرابط، أمّا أعضاؤه فهم: أحمد توفيق المدني، ، عمر الموهوب، الحاج الزواوي، قدور بن مراد ودوسي(1).

المبحث الثاني: نشاطه الصحفي

أدى تعرض الشعوب للغزو الأجنبي على أراضيها إلى العيش في ظروف تفتقر إلى أدنى متطلبات الحياة، ومما نتج عن ذلك بروز مواقف الرفض، كرد فعل لتلك الأوضاع المتردية، بالإضافة إلى نبذ الوجود الأجنبي وممارساته على تلك الأراضي، وعليه فإنّ الظلم والعدوان دخلا في العلاقات بين الشعوب منذ فجر التاريخ في العالم بأسره، فمنذ القِدم كانت الدول القوية تقوم باضطهاد وسفك دماء شعوب الدول الضعيفة دون رحمة ونتيجة لتلك السلسلة الذهنية من مواقف الرّفض تمّ إيقاظ الضمير الوطني للشعوب(2) ففرنسا منذ ان وطئت أقدامها الأراضي الجزائرية قامت بتطبيق سلسلة من الإجراءات المُجحفة في حق الشعب الجزائري، فبعد تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين عام 1931م، أخذت فرنسا تعمل على تشديد الرقابة على كل نشاطات أعضاء الجمعية إذ قامت بمنع إلقاء الدّروس والمواعظ في المساجد الرسمية، إضافة إلى أنها سألت الشيخ ابن باديس على رخصة التعليم في الجامع الأخضر وكان لهذه القرارات واقع القنبلة لدى الشعب الجزائري الذي عبّر عن استيائه بخروجه إلى الشارع والقيام بمظاهرات صاخبة من أقصى الشرق إلى أقصى الغرب، وكان ذلك عام 1934م، ولقد قال المؤرخ الفرنسي شارل أندري جوليان في

---

(1) لوناس الحواس، نادي الترقي ودوره في الحركة الوطنية، المرجع السابق، ص 148.

(2) محمد زبير، "محمد بن عبد الكريم ونشوء الفكر الوطني المغربي"، مجلة تاريخ المغرب، الرباط، ص 27-28.

هذا السياق في كتابه: «إفريقيا الشمالية تسير»، أي أنّ العلماء هم الذين أيقظوا الرأي العام الأهلي وكان كمحكوم عليه في بيت ينتظر الإعدام[1].

يعتبر العامل الديني ذو تأثير فعّال خاصة لدى الشعوب المسلمة، في الرغبة للتحرر والاستقلال[2]، وذلك لأن الله تعالى حثَّ على الجهاد في سبيل الوطن والوقوف ضد الظلم والاستبداد، لقوله تعالى بعد بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾[3].

كما بيّن الله تعالى في كتابه الكريم أنّ المجاهدين في سبيل الله هم أحياءً عند ربهم يرزقون لقوله تعالى: ﴿ وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاء عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾[4]. فالأمة المسلمة لا ترضى بالذل وتستكين للاستعمار، فذلك يتنافى مع مبادئ الدين الإسلامي، وعليه فقد ارتبطت الحركة الوطنية بدعامتين هما اللغة والدين الإسلامي[5]، باعتبار جمعية العلماء إحدى الحركات الفاعلة في ذلك الوقت، فقد أخذت من الصحافة كوسيلة العصر الحديث بالاعتماد عليها لتبليغ دعوتها والعمل على توعية الرأي العام، إذ أنشأت نشراتها الأسبوعية وكذلك مجلاتها الشهرية على الرغم من تعرضها إلى مضايقات

---

(1) أحمد حماني، الصراع بين السنة والبدعة، ج1، (د ط)، دار البعث، الجزائر، (د س ن)، ص 177.

(2) حملات عبد القادر، أثر الحركة الوطنية في شعر مبارك جلواح، رسالة مقدّمة لنيل شهادة الماجستير، كلية الآداب واللغات والفنون، قسم اللّغة العربية وآدابها، وهران، 2010/2009، ص 12.

(3) سورة الحج، الآية 78.

(4) سورة آل عمران، الآية 169.

(5) حملات عبد القادر، أثر الحركة الوطني في شعر مبارك جلواح، المرجع السابق، ص 12.

وإجراءات من طرف الإدارة الاستعمارية[1]،فقد قام المثقفون الجزائريون من خريجي المدرسة الفرنسية وكذلك الذين تلقُّوا تعليمهم في جامع الزيتونة بالعمل من أجل تطوير وتحسين الصحافة الجزائرية وذلك في تكوين في خدمة الحركة الوطنية نابذة للاستعمار ولسياسته التعسفية ضد الشعب الجزائري الأعزل، وخاصة وأنّ هذه الفترة شهدت ظهور العديد من التيارات السياسية وتنوع اتجاهاتها الاجتماعية وأساليبها الدعائية فكانت فترة مليئة بتوترات سياسية على الساحة الجزائرية بسبب بروز تيارين فكرين مختلفين يتنازعان فيما بينهما هذين التيارين أحدهما من ذوي الثقافة الفرنسية والآخر من ذوي الثقافة العربية[2].

على الرغم مما تعرض له الصحفيين من توقيف وتفتيش وسجن وتوصل الأمر حتى على تعرض بعضهم للقتل من قبل سلطات الإدارة الاستعمارية، إلاّ أنهم أصرّوا على المواصلة والاستمرار في هذا الميدان رغم خطورة الوضع وكذلك المشاكل والصعوبات التي تحيط بهم وتُعيق عملهم الصحفي، فقد كان لجل الصحفيين الجزائريين هدف واحد نصب أعينهم وهو بذل كل المجهودات في سبيل الوقوف في وجه المستعمر[3]،وذلك أنّ الجزائريين كانوا مدركين تمام الإدراك دور الصحافة الهام في الساحة السياسية لذلك لم يكونوا غافلين عن استغلالها واستعمالها فيما يحقق طموحاتهم للنيل من الاستعمار بشتى الطرق والوقوف في وجه كل شخص أو فريق يريد أنْ يخضع الجزائر إلى فرنسا[4]،فالإعلام يشغل حيزًا مهمًا وأساسيًا في العمل السياسي وتزداد أهميته كلما كان هذا التنظيم أو الحركة السياسية تخوض معركة سياسية ضد حزب أو حركة أخرى معادية لها، فكل حزب أو حركة يتوجب عليها أن

(1) محمد الطيب العلوي، مظاهر المقاومة الجزائرية 1830-1954/ ط3، منشورات وزارة المجاهدين، الجزائر، (د س ن)، ص 136.

(2) عواطف عبد الرحمن، الصحافة العربية في الجزائر، دراسة تحليلية لصحافة الثورة الجزائرية 1954-1962، (د ط)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985م، ص 33.

(3) المرجع نفسه، ص 33.

(4) أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج5، المرجع السابق، ص 144.

تجد إعلامًا خاصًا بها يُعبِّر عن أهداف وأفكار الحزب وطموحاته المستقبلية ويعمل على تعبئة وإقناع الرأي العام، ليكون في صفه ومؤيدًا لبرامجه وأهدافه حتى يتمكن الحزب من تحقيق الانتصار[1]،وفي هذه الدّراسة البسيطة سنتطرق وسنسلط الضوء على شخصية فذة كان لها دور كبير في مجال الصحافة والإعلام وأحد الأعضاء الفاعلين في جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ويعدّ من بين الصحافيين البارزين في مختلف جرائدها ومجلاّتها التي كانت تصدرها خلال الحقبة الاستعمارية،إنّه الشيخ أحمد توفيق المدني ذو التكوين التونسي والذي يعتبر من بين الأعضاء البارزين الذين ساهموا مساهمة كبيرة في الميدان الصحفي، فمن خلال كتاباته تمكن من بلورة الحركة الوطنية الجزائرية، فكان دومًا يُنادي بالاستقلال والحرية، ونبذ الغزو الأجنبي على الأراضي الجزائرية، فكان المدني يُبرز من خلال كتاباته الصحفية موقفه من الأوضاع الدّاخلية للجزائريين ومعاناتهم وضرورة الخروج من هذا الواقع المرير[2]،فهو يُعدّ صحفي ومؤرخ باللّغة العربية، انخرط في الحياة السياسية والثقافية لوطنيه تونس والجزائر، فكانت له الكثير من النشاطات في المجال الصحفي وكان يهدف من ورائه نشر ونقل رؤيته لمستقبل مشرق، وتحمل عبء الرسالة الإعلامية في ظروف صعبة، وواصل عمله بالتدرج في إطار الأعمال الوطنية والنضالية[3].

اهتم المدني بالجانب الثقافي اهتمامًا كبيرًا وذلك لأنّ الوضع الثقافي والفكري في الجزائر أواخر القرن التاسع عشر كان متدهورًا للغاية بغض النظر عن الميادين الأخرى التي عرفت حالة لا يرثى لها[4]،هذا الرجل العظيم تميّز مساره الفكري بالتنوع لأنّ تجاربه كانت

(1) أحمد حمدي، الثورة الجزائرية والإعلام، ط2، منشورات المتحف الوطني، الجزائر، 1995، ص 38.

(2) علي مراد، الحركة الإصلاحية الإسلامية في الجزائر، المرجع السابق، ص 137.

(3) أحمد توفيق المدني، أبطال ورجال المقاومة، (د ط)، دار البصائر، الجزائر، 2009، ص 06.

(4) مصطفى الأشرف، الجزائر الأمة والمجتمع، ترجمة حنفي بن عيسى، (د ط)، دار القصبة للنشر،الجزائر، 2007، ص 87.

ثرية جدًا قبل قدومه إلى الجزائر عام 1925م، وذلك لأنّ مراحل حياته الأولى التي قضاها بتونس تُبيّن هذا التنوع الذي تجسد في العمل الصحفي وحركة التأليف وكذلك المشاركة في بعث منتديات العلم والفكر، فكانت بداياته الأولى في العمل الصحفي من خلال مطالعته للصحف التونسية في سن العاشرة من عمره. للإشارة فإنّ المدني وخلال فترة تواجده بتونس إلاّ أنّ هذا لم يمنعه من الكتابة في الصحف الجزائرية، كان ينتقد من خلالها السياسة الاستعمارية وممارستها التي تقوم على أساس المصلحة لفائدة الإدارة الفرنسية والمستوطنين[1].

نتيجة للنشاطات الواسعة للشيخ أحمد توفيق المدني ليس فقط في المجال الصحفي بل انخرط كذلك في العديد من الجمعيات وأيّد حركة العديد من الشبان، فقامت السلطات الفرنسية بنفيه إلى وطنه الأم الجزائر، وهناك واصل نشاطه الصحفي، حيث نقل قلمه السيّال من تونس إلى الجزائر مُعبِّرًا عن أفكاره وآرائه في مختلف الصحف التي كانت تُنشر في الجزائر[2]،خاصة أنّ الصحف في ذلك الوقت الحساس كانت تلعب دورًا مهمًا وفعّالاً في فتح الضمائر، رغم أنها لا تُقدّم حلولاً عملية إلاّ أنّها تكشف اللبس والغموض على الكثير من الحقائق التي يسعى المستعمر إلى تغطيتها والتستر عليها لإخفاء ممارسته الوحشية اتجاه الشعب الجزائري محاولة منه لتضليل الرأي العام المحلي والعالمي، والعمل على جعل الجزائر جزء لا يتجزأ من الأراضي الفرنسية[3]،والمُلاحظ للصحافة الجزائرية خلال الحقبة الاستعمارية سواء الناطقة باللغة العربية أو باللغة الفرنسية يرى مدى وحدة قضاياها والمتمثلة

---

(1) يوسف بوغابة، معالم الفكر السياسي لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين–دراسة تحليلية–،(د ط) ،دار زمورة للنشر والتوزيع،الجزائر ،2013 ص 33.

(2) أحمد توفيق المدني، حياة كفاح، ج1، المصدر السابق، ص 34.

(3) إيفون تورين، لمحة حول الاتجاه الفكري في فرنسا خلال حرب الجزائر ، مجلة الأصالة، السنة الخامسة، جمادى الأولى 1396هـ/ ماي 1976م، العدد 33، الجزائر ، ص 76.

في التعبير عن واقع ومشاكل المجتمع الجزائري ومعاناته[1]،وعليه فإنّ جلّ المثقفين الجزائريين خاضوا غمار الحرب ضد فرنسا بقلمهم للتعبير عن رفضهم للواقع المرير الذي يعيشه الشعب ورفض الوجود الاستعماري رغم ما ادعى به هذا الأخير من رغبته في نشر الثقافة والحضارة في شمال إفريقيا ككل.

كما كان للأستاذ أحمد توفيق المدني دور كبير في إصدار العديد من الصحف ، إذْ أنّه تعاون مع الشيخ الطيب العقبي تعاونًا كاملاً من أجل تحريرها وكان ذلك خلال عهدها الجديد، هكذا اتحدّ العلماء واتفقوا على عدم خضوعهم لفرنسا ولأوامرها، كما أبى العلماء أن يكتب أي واحد منهم كلمة تُرضي فرنسا[2]،فكان المدني على يقين كبير بمكانة الصحافة ومدى خدماتها التي تُقدمُها للشعوب لأنّ لها رسالة تهدف إلى الحث على الجهاد والرّقي ورغبة في التّخلص من الاستعمار وكذلك تحث على ضرورة النهوض والإتحاد أكثر من أي وقت مضى والمُضي قُدمًا نحو مستقبل زاهر خالي من التواجد الأجنبي، حيث يقول المدني في هذا الشأن في إحدى مقالاته التي نشرها في جريدة الشهاب في عدد 100 تحت عنوان كلمة أخيرة: «... وأني لا اعتبر نفسي مُجرمًا إذا أنا عمّرت بياض صفحة بكلام لا يكون من ورائه أي نفع للشعب وللبلاد»[3].

كما حرر مقالات بجريدة الإصلاح من بينها مقال تحت عنوان "بين الموت والحياة"، إذْ يرى أنّ الأمة الجزائرية نتيجة للأوضاع والظروف القاسية التي تمر بها وكذلك ما يُعانيه الشعب خاصة في الجانب الثقافي أنّها أمّة بالفعل بين الموت والحياة، فلو بقيت تسير نحو هذا المسار ستتعرض للاضمحلال، لأنّ المستعمر يسعى إلى محو مقومات الدّولة الجزائرية ألا وهي الدّين واللّغة، فبالنسبة للمدني أنّ القضية ليست صراع بين لغة عربية وفرنسية بل

(1) عواطف عبد الرحمن، الصحافة العربية في الجزائر، المرجع السابق، ص 41.
(2) أحمد حماني، الصراع بين السنة والبدعة، المرجع السابق، ص 181.
(3) أحمد توفيق المدني، كلمة أخيرة، الشهاب، العدد 100، 9 جوان 1927م، ص 08.

هي أخطر من ذلك ألا وهي صراع بين شخصية عربية إسلامية تُريد للأمة الحياة، وشخصية أخرى مسيحية لاتينية تُريد أن تسلب من الأمة الحياة، فيجب على الأمة العربية الإسلامية التحرك لأنّ الوقت يمضي بسرعة وليس في صالحها وإلاّ سوف تسحق سحقًا شديدًا من طرف الفئة المسيحية اللاتينية، التي تصبح هي المُسيطرة وهكذا تحقق فرنسا شوطًا كبيرًا نحو الانتصار وإحكام سيطرتها على الجزائر التي تُريد فرنسا اعتبارها قضية داخلية من قضاياها[1].

كما كان المدني من محرري جريدة البصائر بعد الحرب العالمية الثانية، كذلك شغل منصب أمينًا عامًا للجمعية، وفي غياب البشير الإبراهيمي رئيس تحرير البصائر، إذ أنّه قام بتحرير العديد من المقالات الافتتاحية الهامة أثناء الثورة[2].

تعتبر جريدة البصائر من أهم الصحف التي كانت تُنشر بالجزائر نظرًا للمكانة التي يحظى بها سواء مسؤوليها لدى الشعب الجزائري وكذلك المقالات السياسية والدينية التي يحررها الصحفيين ومدى أهميتها، لأنّها تتناول القضايا الرّاهنة سواء داخل الوطن أو خارجه، ولقد عمّرت البصائر من سنة خمسة وثلاثين إلى تسعة وثلاثين من القرن الماضي[3].

وعليه فالمدني كان يُحرر مقالات أسبوعية وأخرى شهرية في جريدة البصائر، فكان يقوم بتحرير ركنه الشهير منبر السياسة العالمية هذا الأخير كان يستقطب الكثير من الجماهير نظرًا للمواضيع التي يتطرق إليها، إذْ أنّه يتناول مواضيع تخص واقع المجتمع

(1) محمد ناصر، واقع العربية في الصحافة الإصلاحية، الأصالة، العدد 17، الجزائر، أكتوبر 1973م، ص 268.
(2) أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج7، المرجع السابق، ص419.
(3) عبد الغفور شريف، موقف جمعية العلماء المسلمين الجزائريين من خلال جريدة البصائر1954-1956، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، قسم العلوم والاتصال، جامعة الجزائر، 2010-2011، ص 70.

الجزائري ومشاكله وكذلك القضايا العربية بكل أنوعها خاصة تلك التي تعاني من الاستعمار مثل دول المغرب العربي وكذلك الدولة الفلسطينية[1].

الجريدة الأخرى التي برز فيها الشيخ المدني هي جريدة الشهاب الأسبوعي، إذْ قام بتحرير العديد من المقالات في هذه الجريدة، ولقد تضمنّت المواضيع التي حررتها السياسة الخارجية بصفة توجيهية، كما أنّ مقالاته المُحررة كانت خالية من أي توقيع وكان قد اتفق مع الشيخ عبد الحميد ابن باديس في ذلك[2]،يعود ذلك للظروف العصيبة التي كان يمر بها كتاب الجرائد والمجلات من مراقبة شديدة من قِبل سلطات الإدارة الاستعمارية، وكذلك خشية من الإجراءات والعقوبات التي تتخذها ضدهم الإدارة الفرنسية، فقد كان المدني يتخذ إمضاءات متعددة وأسماء مستعارة، نذكر منها: "المنصور"، "أبو محمد"، وكتب في صحف أخرى عديد المقالات بأسماء مستعارة كذلك منها: "الخبير"، "نفريت"، "أ.ت.م"[3].

كانت جريدة الشهاب من أبرز جرائد جمعية العلماء المسلمين إذ وبعد مرور حوالي عامين من إنشائها حققت نجاحات كثيرة، وأصبح لها صدى كبير كما عرفت انتشارًا واسعًا، وأصبحت نجمًا ساطعًا في تلك الفترة وأصبح قُراؤها يتكاثرون يومًا بعد يوم، فهذه الصحيفة أسسها فئة قليلة بمالية ضئيلة لتخدم مبدأين أساسيين وهما اللّغة العربية والدّين الإسلامي، التي تسعى فرنسا جاهدة من أجل محوها لتتمكن من القضاء على المقومات الأساسية للشخصية الجزائرية وبالتالي جعل الجزائر فرنسية[4].

---

(1) عبد المالك مرتاض، نهضة الأدب العربي المعاصر في الجزائر، 1925م، 1954م، النهضة الفكرية النهضة الصحفية والأدبية و النهضة التاريخية، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1983م، ص 170.

(2) أحمد توفيق المدني، الذكرى السابعة والثلاثون لوفاة ابن باديس الرجل العظيم، مجلة الأصالة،العدد44، السنة السادسة ربيع الثاني 1397هـ/ أفريل 1977م.

(3) عبد القادر خليفي، أحمد توفيق المدني ودوره في الحياة السياسية والثقافية في الجزائر، المرجع السابق، ص 94.

(4) الطيب العقبي، "الشهاب بعد عامين"، العدد 100، 09 جوان 1927، ص 03.

لقد تقلّد الشيخ المدني العديد من المناصب في الميدان الصحفي، حيث أوكل له الشيخ عبد الحميد ابن باديس قسم السياسة الخارجية والسياسة الدّاخلية بمجلة الشهاب، واستمر هذا العمل إلى غاية تعطيل المجلة عام 1939م[1]،ويقول المدني في ذلك: «صُلتُ وجُلتُ في الشهاب، صولات عميقة، وجولات عريقة، ما يزيد عن عشرة أعوام، منذ الشهاب الأسبوعي إلى غاية الشهاب الشهري، وما كنت أكتب في الشهاب إخباريًا، وإنما كنت أكتب توجيهيًا، فما ذكرت قضية من قضايا العالم، وأشدت بكفاح شعب يُحاول فك الأغلال وكسر القيود، إلاّ وكنت أفكر في الجزائر، أقول لها من طرف خفي، إياك أعني فاسمعي يا جارة»[2]،فالمدني هنا يبيّن أنّه لم يكن يكتب الأخبار وإنما يكتب من أجل توجيه الأمة نحو الطريق الصحيح، وإظهار واقعها والمشاكل التي تتخبط فيها بفعل الوجود الأجنبي على أراضيها، ويحثُّ الأمة على عدم الانسياق وراء السياسة الإغرائية التي تعتمدها فرنسا لجذب الشعب الجزائري من أجل كسب تأييده، فقد كانت كل الجرائد التي تصدرها جمعية العلماء المسلمين وعلى رأسها جريدة الشهاب والبصائر تعمل على نشر مبادئ الجمعية وأهدافها، وكان لهذه الصحف دورًا رئيسيًا في مجال التعليم والتثقيف والتنوير[3].

المبحث الثالث: دور أحمد توفيق المدني في جمعية العلماء المسلمين الجزائريين.

لقد انتهج الاستعمار الفرنسي في الجزائر العديد من الطرق لتحقيق أطماعه التوسعية، حيث كان يُبرر على الدّوام أسباب تواجده من خلال استبداله وتطيره للمفاهيم والأشكال، إذْ أصر على أن تبقى الهوية الوطنية بكل مقاوماتها الدينية واللّغوية والثقافية وانطلق من هذا

(1) يوسف بوغابة، معالم الفكر السياسي لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، المرجع السابق، ص 33.

(2) عبد الغفور شريف، موقف جمعية العلماء المسلمين من خلال جريدة البصائر (1954–1956)، المرجع السابق، ص 75.

(3) السبتي بن شعبان، الحركة الوطنية بمنطقة قالمة، 1919–1954، رسالة مقدّمة لنيل شهادة الماجستير، في تاريخ المجتمع المغاربي الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ جامعة منتوري، قسنطينة، 2010/2009م، ص 32.

المبدأ نظرًا لإدراكه بالمكانة التي تحتلها الهوية في وجدان المغاربة وحياتهم ككل، واتخذ منها الأساس لتحديد وجوده وضمان استمراريته، وكان يهدف من وراء ذلك إلى إيجاد حلول إزاء العراقيل والصعوبات التي تواجهه باستمرار[1]، ولإحكام سيطرته على بلدان المستعمر عمل من أجل القضاء على الوحدة الوطنية لمجتمعات هذه البلدان، من خلال زرع الفتنة والتفرقة العرقية بين فئات المجتمع عملاً بمبدأ فرق تسد[2].

كما كانت كل تصريحات الإدارة الفرنسية في الجزائر في ظاهرها تُبدي نوايا حسنة من أجل تهدئة الشعب وامتصاص غضبه لكن في باطنها لها أهداف خفية، وذلك أنّ فرنسا تعمل من أجل تثبيت أقدامها في الأراضي الجزائرية بشتى الطرق، وكان رجال الإصلاح في الجزائر مُدركين ذلك تمام الإدراك، ففي ظل هذه التطورات والأحداث دعا علماء الجزائر إلى تأسيس جمعية تجمع شمل المسلمين الجزائريين، على رأس هؤلاء العلماء الشيخ عبد الحميد ابن باديس الذي دعا إلى إنشاء "جمعية الإخاء العلمي" وكان ذلك سنة 1924م، يكون هدفها توحيد الجهود في مجال التعليم العربي وكذلك العمل من أجل توحيد المذهب الديني[3]،فرغم أنّ فكرة إنشاء جمعية تكون تحت أي اسم من الأسماء تعود إلى بعد نهاية الحرب العالمية الأولى، إذْ دعا كل من العلامة عبد الحميد ابن باديس والشيخ البشير الإبراهيمي، وكذلك دعت إليها مجلة الشهاب عام 1925م إلاّ أنّ السيد أحمد توفيق المدني يُؤكد أنّ فكرة إنشاء الجمعية يعود إلى سنة 1930م، فحسب روايته يقول: «أنّ جماعة من ذوي الاتجاه الإصلاحي العربي الإسلامي كانوا يترددون على نادي الترقي من أجل مناقشة

(1) محمد مالكي، الحركات الوطنية والاستعمار في المغرب العربي، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1933م، ص 211.

(2) عمر عسوس، أزمة الهوية لدى البربر في الجزائر، المرجع السابق، ص 49.

(3) علي كافي ، مذكرات الرئيس علي كافي من المناضل السياسي إلى القائد العسكري 1946-1962م، دار القصبة للنشر، الجزائر،1999م، ص 47.

الأوضاع التي آلت إليها البلاد خاصة بعد احتفال فرنسا بذكرى مرور مائة سنة عن تواجدها بالجزائر كان هذا الاحتفال مجالاً فسيحًا للمتعصبين الفرنسيين الذين هاجموا الإسلام والمسلمين بشدّة، يُضيف المدني أنّه اجتمع هو مع ثلاثة من المُصلحين في شهر تموز "جويلية" سنة 1930م، وتناقشوا بإسهاب في الآثار المؤلمة التي تركتها تلك الاحتفالات»[1].

اتفق هؤلاء في نهاية المطاف على ضرورة إنشاء جمعية أو هيئة تجمع شمل العلماء الجزائريين ككل تُوحِد صفوفهم وترسم لهم الطريق الصحيح للوقوف في وجه الاستعمار[2].

لقد تمّ ذلك من خلال اجتماع عُقد في صباح يوم الثلاثاء على الساعة الثامنة صباحًا بتاريخ السابع عشر من شهر ذي الحجة عام 1349هـ الموافق[3] للخامس من ماي 1931م[4]،حيث اجتمع بنادي الترقي بالعاصمة الجزائرية اثنان وسبعون من علماء الجزائر والذين قدّموا من مختلف أنحاءها، ولقد كان عميد هذا الاجتماع السيد عمر إسماعيل أحسن الله، وغرض الدعوة هو تحقيق وتجسيد فكرة على أرض الواقع لا طالما فكر فيها علماء القطر الجزائري، وهي تأسيس "جمعية" العلماء المسلمين الجزائريين[5].

كان أحمد توفيق المدني من بين المؤيدين لهذه الفكرة، كما كان من أبرز أعضائها الذين ساهموا في تأسيسها وذلك بهدف تحقيق وحدة وطنية ودينية تضم مختلف المذاهب والاتجاهات الإصلاحية[6]،فقد كان هو من تولى كتابة رسائل الدعوة لعقد الاجتماع التأسيسي التي أمضاها السيد عمر إسماعيل، حيث تم إرسال بطاقات الدعوة إلى 120 من

---

(1) أحمد مهساس، الحركة الثورية في الجزائر 1914-1954، (د ط)، دار المعرفة، الجزائر، 2007م، ص 87.

(2) المرجع نفسه، ص 87.

(3) أحمد طالب الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي 1929-1940م، ج1، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1997م، ص 77.

(4) أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج4، المرجع السابق، ص 143.

(5) أحمد طالب الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي 1929-1940، ج1، المصدر السابق، ص 77.

(6) أحمد توفيق المدني، حياة كفاح، ج2، المصدر السابق، ص 175.

علماء الجزائر لكن لبّى الدعوة اثنان وسبعون شخصًا فقط[1]،ولقد تم انتخاب السيد عبد الحميد ابن باديس رئاسة، أمّا النيابة العامة فقد أُسندت إلى السيد البشير الإبراهيمي، وللكتابة العامة الأستاذ العمودي، ولمساعدته الأستاذ الطيب العقبي ولأمانة المال الأستاذ مبارك الميلي، ولمساعدته إبراهيم بيوض[2]،أمّا عن قانونها وبرنامج نشاطها فقد تولى السيد توفيق المدني أمر تحريره[3]، أمّا عن شعار الجمعية فقد كان هناك نوعًا من التضارب في حقيقة صاحب الشعار حسب ما يؤكده المدني أنّه هو صاحب الشعار الذي يتمثل في الجزائر وطننا، الإسلام ديننا، والعربية لغتنا، وبقي هذا متوارثًا ومتداولاً عبر الأجيال إلى وقتنا الحالي، ويقول في هذا الشأن عبد الرحمن بن عقون: «أنّها اشتهرت عن ابن باديس وأنّ توفيق المدني يّدعي أنّه كان كاتبها ويدّعي نجم إفريقيا أنّه ابتكرها»[4].

كان للمدني نشاطات عديدة في إطار جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ويتّضح ذلك من خلال نشاطه الصحفي، إذْ أنّه من أبرز الكُتّاب في الصحف الصادرة عن هذه الجمعية خاصة جريدتي الشهاب والبصائر، حيث كانت هذه الجمعية هي الحقل الرئيسي الذي صال فيه المدني وجال ليُعبِّر عن مختلف إسهاماته الفكرية من خلالها، وكانت جمعية العلماء برئاسة الشيخ عبد الحميد ابن باديس وبعده أصبح الشيخ البشير الإبراهيمي الذي أصبح المدني في عهده أمينًا عامًا للجمعية كما كُلِّف بصفة خاصة بالسياسة الخارجية[5].

لقد اجتمعت عدة عوامل مهدت الطريق لإنشاء جمعية تضم العلماء وتجمع شملهم وتُوحد منهج عملهم أهمها:

---

(1) أحمد توفيق المدني، رد أديب على حملة أكاذيب، (د ط)،دار البصائر، الجزائر،2009، ص 33.

(2) أحمد طالب الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج1، المصدر السابق، ص 72.

(3) أحمد توفيق المدني، محاضرات في اللغة والفكر والتاريخ،(د ط) ، دار البصائر، الجزائر، 2009، ص 11.

(4) عبد الرحمن بن ابراهيم بن عقون، الكفاح القومي والسياسي، المصدر السابق، ص 210.

(5) أحمد توفيق المدني، حياة كفاح، ج2، المصدر السابق، ص 175.

أ- جهود العلماء والمصلحين من قبل أمثال: حمدان لونيسي، عبد القادر المجاوي، عبد الحليم بن سماية وكل حسب طاقته وقدرته، مهدت الطريق للقيام بدعوة إصلاحية جهادية.

ب- بروز الصحف والمجلات في الأوساط المثقفة خاصة والشعب الجزائري عامة، مثل: الإسلام ذو الفقار، المنار، الإقدام وغيرهم.

ج- اهتمام بعض الجزائريين بالحركات الإصلاحية في المشرق العربي من خلال مجلة المنار، ومطالعتهم لكتب المصلحين ككتب ابن تيمية.

د- النتائج المُبهرة التي حققها ابن باديس في مجاله التعليمي والتربوي الذي تخرج على يده أفواجًا من الطلبة.

هـ- انتشار الوعي الفكري والقومي لدى الشعب الجزائري بعد الحرب العالمية الأولى.

و- عودة الكثير من الطلبة الجزائريين من الحجاز ومن الزيتونة، أمثال: البشير الإبراهيمي، الطيب العقبي، مبارك الميلي(1).

كان يهدف علماء الجمعية إلى إصلاح المجتمع الجزائري من الشوائب التي نشرها المستعمر من بدع وخرافات بهدف طمس الهوية الوطنية ذات الطابع الديني المحض، كما كانت الجمعية تخوض في مختلف المسائل والقضايا السياسية من خلال إبداء رأي العلماء ومواقفهم في الدفاع عن القضية الوطنية، كما كانت تهدف إلى تكوين شباب متشبع بالفكر الاستقلالي عبر التعلم الديني من خلال برامجها التعليمية(2).

إضافة إلى اهتمام العلماء بقضايا المغرب العربي ومستقبله السياسي والثقافي، إذْ لم يقتصر اهتمام الجمعية بالشؤون الداخلية للجزائر فحسب، بل تعداه إلى العالم العربي

---

(1) عبد الرشيد زروقة، جهاد ابن باديس ضد الاستعمار الفرنسي في الجزائر، المرجع السابق، ص 121.

(2) خالد توازي، الظاهرة الحزبية في الجزائر، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في العلوم السياسية والعلاقات الدولية، جامعة الجزائر، بن يوسف بن خدة، 2005-2006، ص 83.

ككل[1]،ويتّضح ذلك من خلال جرائدها وخُطب علمائها، فمن أهم القضايا التي حاربتها بكل عنف قضية التجنيس والإدماج، إذْ يقول الشيخ الإبراهيمي في هذا الشأن في جريدة البصائر في عددها الصادر يوم 29 أوت 1947[2]:«حاربت جمعية العلماء سياسة الإدماج في جميع مظاهرها، فقاومت التجنيس ونازلت أنصاره ودُعاته حتى قهرتهم وأخرستهم، وقطعت الحبل في أيديهم، ثم أفتت فتواها الجريئة فيه يوم كانت الجرأة في مثل هذه المسائل جزاؤها العذاب»، وتُعتبر هذه الجمعية دفاعًا منظمًا عن الإسلام، والعروبة في القطر الجزائري، حيث تسعى للمحافظة على السنن التي حافظ عليها المصلحون في جميع العصور[3]، حيث صرخت في وجه كل التيارات المدمرة التي تقف ضد الدين الإسلامي والعروبة[4]، وكان لها الأثر الفعّال في تنوير الرأي العام الإسلامي بالجزائر[5].

حيث استغل علمائها كل الوسائل لحمل الأمة على التخلّق بالأخلاق الإسلامية وحثها على الأخوة الدينية والأخوة العلمية، وتأكيدها على ضرورة الإتحاد ونبذ الشقاق والتفرقة التي تسعى فرنسا إلى نشرها[6].

كما حاربت الآفات الاجتماعية كالخمر والميسر وكذلك البطالة والجهل وكل ما يتعارض مع الشرع الإسلامي، لأنّ هذا يُؤدي إلى انحلال المجتمعات وتشتتها، وبالتالي اضمحلال مقوماتها الوطنية والدينية[7]،خاصة وأنّ المستعمر الفرنسي يسعى إلى محو الدين

(1) أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج4، المرجع السابق، ص 150.

(2) تركي رابح عمامرة، جمعية العلماء ورؤسائها الثلاثة 1931-1956، ط1، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر،2004، ص 37.

(3) تركي رابح عمامرة، المرجع السابق، ص 358.

(4) الورتيلاني الفضيل، الجزائر الثائرة، (د ط)، دار الهدى، الجزائر 2009، ص 135.

(5) تركي رابح عمامرة، المرجع السابق، ص 358.

(6) أحمد طالب الإبراهيمي، آثار البشير الإبراهيمي، ج1،المصدر السابق، ص 84.

(7) أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية 1900-1930، ج2، ط4، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1992م، ص 433.

الإسلامي من الجزائر، فتعهدت الجمعية على العمل من أجل إنشاء مجتمعًا إسلاميًا وطيد الصلة بعقائده الدينية وعبادته وأخلاقه، وكذلك صلته بمحمد صلى الله عليه وسلم، حيث سلكت في ذلك الجمعية طريق التربية قبل التعليم، لأنّ العلم مجرد من التربية لا ينفع، وهو بلاء على صاحبه والناس ككل، كما عمل علماء الجمعية من أجل توحيد الآراء وتجميع الشعب حول هدف واحد فكان هدفها سياسيًا وطنيًا، وهو تحقيق الاستقلال ونبذ الاستعمار والتواجد الأجنبي في الجزائر[1].

لقد استطاع علماء الجمعية ومن بينهم أحمد توفيق المدني تحقيق جملة من الأهداف المسطرة، نذكر منها أنّ علماء الجمعية تمكنوا من تكوين جيل جزائري قادر على تحمل الميراث الثقافي ومقومات الشخصية الوطنية للأمة الجزائرية، وذلك من خلال نداءاتهم بالتمسك باللغة وبالدين والوطن، وهذا كان شعار الجمعية، خاصة وأنّ الإدارة الاستعمارية حاولت طمس معالم الشخصية الجزائرية من خلال تطبيق إجراءات تعسفية وكذلك سنها لقوانين جائرة في حق الشعب الجزائري، ولقد اتخذ العلماء من الصحافة منبرًا لإيصال صوتهم وأفكارهم السياسية والثقافية والدينية، إلى كافة الأمة الجزائرية وحتى العربية عامة[2]، إضافة إلى تبنيها لبرنامجًا علميًا معاديًا لسياسة التغريب المنتهجة من طرف فرنسا داخل الدولة الجزائرية، وذلك ببناء مدارس تعمل على نشر التعليم العربي أساسها اللغة العربية مناهضة للمدارس الفرنسية التي تقوم على اللغة الفرنسية خاصة وأنّ جهود العلماء تهدف إلى نشر تعليم عربي حر كخطة حضارية لمواجهة الصراع التاريخي بين المسلمين والمسيحيين، إضافة إلى تأسيس العلماء لمختلف النوادي التي كان لها دور كبير في الوقوف

---

(1) تركي رابح عمامرة، المرجع السابق، ص 355.

(2) محمد بكار، المجلة المغاربية للدّراسات التاريخية والاجتماعية، العدد 7، ديسمبر، 2013، جامعة جيلالي، سيدي بلعباس، الجزائر، ص 73.

في وجه الاستعمار وإضافة إلى نشرهم لصحافة ذات نوعية تقوم على التوعية والعمل على كشف الحقائق والغموض وتِبيان حقيقة المستعمر وأطماعه[1].

في ظل مواصلة علماء الجمعية لنشاطاتهم لتوعية الشعب الجزائري ونقلها لمعاناته وبحثها لحالة اليأس التي بدأت تدب في أوساط المجتمع واجهت الجمعية الكثير من الصعوبات والعراقيل من طرف سلطات الإدارة الاستعمارية، إذ طارد المستعمر الفرنسي رجال التعليم العربي وقام بتشريدهم كما قتل الكثير منهما، ونفى البعض الآخر إلى الخارج وضيّق على الباقي من خلال كبح نشاطهم ومنعهم من ممارسة أي عمل، حيث مورست عليهم الرقابة المستمرة كما مُنعوا أيضًا من ممارسة مهنتهم التي يقتاتون منها، وهكذا قامت فرنسا بغلق المدارس العربية إضافة إلى فرض وصاية على نشاط العلماء المهني التربوي، مما أدى إلى تعميق معاناة الشعب الجزائري الذي حُرم من نور العلم والمعرفة وأُفقر بشكل تام مركب ومخيف وأصبح الجهل والفقر من السمات الأساسية للمجتمع الجزائري خاصة في البوادي والأرياف، وعانى الشعب أشد المعاناة التي لم يعانيها شعب آخر في ذلك الوقت[2]، وباعتبار أنّ الجمعية كان هدفها أيضًا دينيًا من خلال النداء بمبادئه وباعتباره أحد مقومات الشخصية الجزائرية، فإنّ فرنسا علمت من أجل القضاء عليه وقامت بمحاربة رجال الجمعية إذ قامت بمنع العلماء من إلقاء الخطب في المساجد وكذلك إغلاق المدارس الحرة التابعة للجمعية عبر كامل التراب الجزائري[3]، فجمعية العلماء المسلمين الجزائريين تعتمد على الدين الإسلامي كمرجع أساسي في مختلف نشاطاتها الثقافية وحتى السياسية، لذلك فهي تعتبر جمعية دينية قبل كل شيء وبعد كل شيء وذلك لأنها تبتدأ بالدين وتنتهي إلى الدين،

(1) المرجع نفسه، ص 74.

(2) يحيى بوعزيز، المرجع السابق، ص 48.

(3) محمد بكار، علاقة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بنواب فدرالية المنتخبين المسلمين لعمالة قسنطينة (1931-1936)، المرجع السابق، ص 73.

وتنقلب ما بين البداية والنهاية في الدين حتى لو كان الدين حرفة، ووظيفة لقال الناس وقلنا إن حرفتها ووظيفتها الدين، وهذا هو الوصف هو الجزء الذاتي الأكبر من حقيقتها[1]، لأنّ هدفها كان إصلاح المجتمع مما آل إليه من فساد وطغيان وسيطرة الاستعمار الفرنسي الذي يهدف إلى تنصيره ونشر المسيحية محل الدين الإسلامي، فكان لها الدور البالغ الأثر في بعث وإحياء الأمة الجزائرية، حيث كان لها العديد من الأعمال والمواقف، فأعمالها في المجال الديني لا يمكن مناقشة صحتها أو القيام بتبديلها، وذلك لأنّ المرجع فيها إلى نصوص الدين من كتاب الله وصحيح السنة بالإضافة إلى إجماع السلف الصالحين، أمّا عن الأعمال في مجال التعليم العربي لا يوجد بها أي شكوك لأنّ كل أعضائها لهم هدف وغاية واحدة وهي إحياء الدين الإسلامي والتمسك بالعقيدة الإسلامية الصحيحة والعمل على المحافظة عليها ومكافحة الديانة المسيحية بكل قوة لديهم فاعتلت أصوات هؤلاء العلماء من بينهم توفيق المدني الذي كانت كل خطاباته أو كتاباته تحث على الرجوع إلى الدين واعتبار فرنسا عدوة لكافة الأمة العربية الإسلامية وليس الجزائر فقط، فكل آراء وأفكار أعضاء الجمعية في الحياة السياسية والاجتماعية للأمة الجزائرية أراء محضتها التجربة وأيدها المنطق فلا رجوع فيها لأنّ الدّافع إليها طبيعي وحيوي من أجل توحيد الجهود ووضع الأيدي مع بعض لمكافحة المستعمر لنيل الحرية والتمسك بالمقومات الشخصية الجزائرية، فكانت مواقفهم لا تُبالي بما سيحدث وبما وقع، وشخصية[2] السيد أحمد توفيق المدني خير مثال على ذلك من خلال صراحته وشجاعته سواء في خطاباته أو مختلف كتاباته المعبّرة عن موقفه من مختلف القضايا الناجمة عن المستعمر وعن ممارساته الدنيئة وموقفه الصريح المعبر عن تمسكه بالدين ومقومات الشخصية الوطنية، حيث قال رئيس الجمعية السيد عبد

(1) تركي رابح عمامرة، المرجع السابق، ص 358.

(2) محمد البشير الإبراهيمي، عيون البصائر، (د ط)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر، (د س ن)، ص108.

الحميد ابن باديس عام 1935: «القرآن إمامنًا، السنة سبيلنا، السلف الصالح قُدوتنا في خدمة الإسلام والمسلمين»[1]،وعليه يمكن اعتبار جمعية العلماء المسلمين الجزائريين من أهم وأحسن الجمعيات على مستوى العالم العربي الإسلامي، وذلك نظرًا لنشاطاتها المتعددة التي تقوم على مبدأ واحد وهو رفض الاستعمار والمناداة بالاستقلال ومساندتها للقضايا العربية الأخرى في مختلف الحركات التحررية في مختلف بقاع العالم، كما تعتبر أكثر الجمعيات نظامًا ودقة ومنهاجًا[2]، ودليل ذلك ظهورها علنًا في الوقت المناسب والمصادف لاحتفال فرنسا بمرور قرن عن احتلالها الجزائر، إضافة إلى تمادي الاستعمار الفرنسي في ممارساته الشنعاء في البلاد، إضافة إلى الضغط الممارس من قِبل الإدارة الفرنسية على الشخصية الجزائرية بجميع مقاومتها خاصة وأنّ المجتمع الجزائري ظلّ متمسكًا بمبادئه التي نادى بها علماء الجمعية: "اللغة، الدين والوطن"[3].

كان لجمعية العلماء دور فعَال في بلورة القضية الجزائرية من خلال نداءاتها وخُطبها المتضمنة للاستقلال وبيّنت حقيقة المستعمر الغاشم الذي يسعى لبسط السيطرة، وتحقيق التوسع، إذْ أيقظت الشعب من غفلته ودعته للمطالبة بحقوقه المشروعة، التي دنسها المستعمر، وركزت على أهمية دور اللغة والدين والوطن وضرورة التمسك بهم للصمود في وجه الاستعمار، فهذه المبادئ هي التي تُوحد الأمة، كما دعت إلى العمل بالقرآن والسنة الشريفة، وعملت على إحياء الشخصية الوطنية العربية المسلمة بشتى الطرق[4].

---

(1) صالح فركوس، المختصر في تاريخ الجزائر من عهد الفينيقيين إلى خروج الفرنسيين (81 ق.م–1962م)، (د ط)، دار العلوم للنشر و التوزيع، الجزائر، 2003م، ص 232.

(2) تركي رابح عمامرة، المرجع السابق، ص 158.

(3) محمد علي داهش، دراسات في الحركة الوطنية والاتجاهات الوحدوية في المغرب العربي، إتحاد الكتاب العربي، كلية الآداب، قسم التاريخ، جامعة الموصل، العراق، ص 11.

(4) تركي رابح عمامرة، المرجع السابق، ص 358.

مجمل القول أنّ جمعية العلماء لعبت دورًا كبيرًا في التاريخ الجزائري من خلال جهود أعضائها الذين تمكنوا من تكوين جيل متمسك بالعروبة والإسلام، متحدًا ضد الاستعمار في الدفاع عن الهوية الوطنية ودليل ذلك مشاركته فيما بعد في حركة التحرر الوطني التي قامت عام 1954م، ويتّضح من خلال كل ذلك أنّ أعضاء جمعية العلماء كان لهم الدور البارز في القضية الوطنية من خلال جهودهم الجبّارة والشجاعة ضد الاستعمار ومختلف أساليبه القمعية، إذْ تمكنت الجمعية من إيقاظ الشعر الجزائري من تعاسته وكآبته التي زرعها الاستعمار الفرنسي في نفوس شلة كثير من أبناء الشعب خاصة وأنّ فرنسا اعتبرت الشعب الجزائري شعب مغلوب على أمره، فبرزت الجمعية في المكان والوقت المناسب حيث دعت إلى ضرورة المطالبة بالحقوق المهضومة والعمل على القيام بالعربية لغة والدين والوطن، كما دعت إلى العمل بالقرآن الكريم والسنة الشريفة، كما عملت على إحياء الشخصية الوطنية العربية المسلمة، فوقفت النّد للنّد في وجه الإدارة الاستعمارية، وقاومت كل أساليبها إذ تمكنت من عرقلة سير مشاريع فرنسا وأحدثت قلقًا لدى السلطات الفرنسية فأصبح المستعمر يتخذ عدة إجراءات وتدابير ضدّها من أجل كبح نشاطات أعضائها[1]،لكن أعضاؤها كانوا على الدوام يبدون مقاومة وتحديًا كبيرًا لفرنسا، حيث لعبت هذه الجمعية دورًا كبيرًا في التاريخ الجزائري من خلال شجاعة وعظمة أعضائها الذين يمتازون بقوة الإيمان وثقة في النفس وإرادة عالية، إذْ تمكنوا من تكوين جيل متمسك بالعروبة والإسلام متحدًا ضد الاستعمار في الدفاع عن الهوية الوطنية، ودليل ذلك انتشار الوعي الوطني لدى عامة الأمة الجزائرية

(1) كمال عجالي، مساهمة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في الحفاظ على الهوية الوطنية، (د ط)، معهد الآداب، جامعة باتنة، الجزائر، 2001م، ص 104.

بمختلف الفئات، كما اتضح ذلك جليًا من خلال التفاف الشعب ومشاركته فيما بعد في حركة التحرر الوطني التي قامت عام 1954م[1].

بعد أن تطرقنا إلى دراسة بسيطة حول النشاطات الفكرية والثقافية للشيخ أحمد توفيق المدني في الجزائر من عام 1925 إلى 1954م نصل إلى جملة من الاستنتاجات:

أنّ المدني اهتم اهتمامًا كبيرًا بالفن المسرحي واعتبره إحدى أهم الوسائل التي ستساهم في استنهاض همم الجزائريين للإتحاد والالتفاف حول الأحزاب السياسية في مواجهة الاستعمار، كما دعى وحثّ على ضرورة النهوض بهذا الفن والعمل على تنشيطه لخدمة الثقافة الوطنية الجزائرية لتصبح مُواكبة للتطور الأدبي الحاصل في دول المشرق العربي.

ساهم في تأسيس الجمعية الخيرية الإسلامية ودوره الفعّال داخلها من خلال خُطبه التي كان يُلقيها، بالإضافة إلى المساعدات والإعانات التي كانت تُقدمها هذه الجمعية إلى الفقراء والمساكين وهذا دليل على مدى الرأفة والرحمة التي يتحلى بها المدني اتجاه أبناء شعبه.

كما تمكن من تأسيس أعظم وأشهر نادي بالجزائر وهو نادي الترقي، وكان ذلك في العاصمة سنة 1933م، رفقة العديد من زملائه، وقد تحول هذا النادي إلى منبرًا للحركة الإصلاحية ومركز التقاء الأحزاب السياسية الجزائرية، كما شهد ميلاد العديد من الجمعيات أمثال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين.

في المجال الصحفي كان المدني حاضرًا كذلك فقد كان ذو خبرة كبيرة نتيجة لتجربته التي عاشها في تونس، أمّا في الجزائر فقد كان أحد أبرز الكُتّاب في جريدة الشهاب وكذلك

(1) قريري سليمان، تطور الاتجاه الثوري والوحدوي في الحركة الوطنية الجزائرية 1940-1954م، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الحاج لخضر، باتنة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية والعلوم الإسلامية، قسم العلوم الإنسانية، 2000-2001، ص 70.

جريدة البصائر، وتناولت مقالاته مختلف الأحداث السياسية الوطنية والعالمية آنذاك، إضافة إلى كتاباته في جريدة الإصلاح التي ترأسها الشيخ الطيب العقبي.

كان السيد أحمد توفيق المدني من بين الدّاعين والمؤيدين إلى تأسيس جمعية دينية تُدافع عن الدين الإسلامي والثقافة الجزائرية، فقد كان حريصًا جدًا على ضرورة لمّ الشمل لتحقيق الوحدة الوطنية.



المبحث الأول: إسهاماته السياسية.

المبحث الثاني: موقفه من قضايا عصره من خلال كتاباته.

المبحث الثالث: موقفه من القضايا العربية.

تناولنا في هذا الفصل ثلاثة مباحث كانت كالتالي: الأول بعنوان "إسهاماته السياسية" هذا الأخير قُسم إلى: مشاركاته في مختلف التنظيمات السياسية، خاصة بيان الشعب، وكذلك مشاركته في جمعية الدفاع عن الحرية واحترامها، وكذلك خطاباته اتجاه الاستعمار. كما درسنا موقفه من القضايا العربية من خلال كتاباته، بيّنا في هذا المبحث موقف المدني من الاستعمار في مختلف الدول العربية التي تعاني وتُناضل من أجل نيل الاستقلال، كما درسنا موقفه من قضايا عصره كالقضية البربرية والطرق الصوفية والاحتفالات بالذكرى المئوية والتجنيس.

المبحث الأول: إسهاماته السياسية.

1- مشاركته في بيان الشعب الجزائري:

تم احتلال الجزائر في سنة 1942م من قبل دول الحلفاء الإنجليز والأمريكان والقوات الفرنسية، وبهذا دخلت الجزائر مرحلة جديدة في الحياة السياسية الوطنية في 08 نوفمبر 1942م، رغم تدهور الأوضاع الاقتصادية، وتميزت الساحة السياسية الجزائرية خلال هذه الفترة بنشاط الحركة الوطنية بمختلف تياراتها[1]،وفي خضم هذه أحداث طلبت فرنسا من الجزائر إمدادها بجنود لمساندتها في الحرب العالمية الثانية، وعلى إثر ذلك وقعت اتصالات بين الجانبين، ويذكر المدني أنّه خلال مقابلاته مع الجنرال جيرو وقدّم لهذا الأخير مطالب التونسيين والجزائريين وعبّر عن معاناة الشعبين، لكن هذه المقابلة لم تؤدي إلى أي نتيجة[2]،وعلى إثر ذلك برز فرحات عباس الذي يعتبر صاحب البيان الشهير، حيث دعى إلى عقد مؤتمر يضم مختلف الحركات الوطنية من منتخبين وممثلين للمنظمات الإسلامية،

(1) أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية 1930-1945،ج3، (د ط)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2007م، ص 190.

(2) أحمد توفيق المدني، حياة كفاح، ج2، المصدر السابق، ص 366.

وكان الهدف من ذلك دراسة الأوضاع والعمل من أجل وضع نظام سياسي واقتصادي واجتماعي للمسلمين الجزائريين، وهذا النظام يكون مبني على أساس العدالة والمساواة الاجتماعية، فهو الذي سيمنح للجزائريين المسلمين فيما بعد كامل الوعي بواجباتهم الحاضرة[1]،لقد نتج عن هذا المؤتمر إصدار بيان عُرف ببيان الشعب الجزائري، ويعتبر أحمد توفيق المدني من بين المشاركين في إعداد هذا البيان، حيث وُجهت له الدعوة من طرف الشيخ فرحات عباس، ويصف أحمد توفيق المدني هذا البيان بأنّه: «وثيقة تاريخية هامة من النوع الرفيع، أوّل ما يُلاحظ في هذا البيان الدعوة إلى الإقلاع عن سياسة التفرنس وفضح الاستعمار الفرنسي شر فضيحة، وكذلك التنويه بالمقاومة الشعبية البطولية التي جابهتها فرنسا بالجزائر خلال القرن وربع القرن، وتصوير حالة الحرمان والفقر، وفقد الأرض والرضوخ المطلق للغالبين وللمستعمرين التي يعيش عليها أهل البلاد، حتى صار المسلم الجزائري يعيش فوق أرضه وفي تراب آبائه وأجداده كأنه أجنبي دخيل، فالواجب هو إلغاء النظام الاستعماري»[2]،يتّضح من كلام المدني أنّه مؤيد لما جاء في البيان، كما يُبين رفضه للسياسة الاستعمارية الفرنسية في الجزائر، ويعتبر تاريخ 10 فيفري 1943م تاريخ تقديم الحركة الوطنية الجزائرية مطلب الاستقلال بغض النظر عن طبيعته ومضمونه، وكذلك أبعاده السياسية ونتائجه العلمية[3].

لقد ذكر أحمد توفيق المدني مطالب بيان الشعب كما يلي:

- إلغاء النظام الاستعماري الذي اعتبره استعمار طبقة لطبقة أخرى.
- إعلان دستور الجزائري[4].

---

(1) محمد علي داهش، دراسات في الحركة الوطنية والاتجاهات الوحدوية في المغرب العربي، المرجع السابق، ص17.

(2) أحمد توفيق المدني، حياة كفاح، ج2، المصدر السابق، ص 515.

(3) أمحمد مالكي، الحركات الوطنية والاستعمار في المغرب العربي، المرجع السابق، ص 428.

(4) أحمد توفيق المدني، حياة كفاح، ج2، المصدر السابق، ص 516.

هذا الدستور يضمن ما يلي:

1- الحرية والمساواة المطلقين لجميع سكانها دون تمييز بالعنصر أو بالدين.

2- إنهاء الملكية الإقطاعية بتطبيق إصلاح زراعي كبير، وتأمين حق الجيش للطبقة الكبيرة من العمال والفلاحين.

3- الاعتراف باللغة العربية لغة رسمية.

4- حرية الصحافة وحق الاجتماع[1].

- التعليم العمومي إجباري على جميع السكان.

- فصل الدين الإسلامي عن الدولة وعن كل تدخل حكومي.

- مشاركة الجزائريين في الحكومة، وتكون هذه الحكومة وليدة رغائب الشعب تُراعي مصالح الشعب الجزائري[2].

- إطلاق سراح جميع المعتقلين السياسيين مهما كان الحزب الذي ينتمون إليه[3].

وما يمكن استنتاجه من هذا البيان أنّه ركّز على نقطتين محوريتين وهي تذكيره بأجواء الحرب وما يعانيه الشعب الجزائري من أوضاع جدّ مزرية على مختلف الأصعدة، وكذلك دعوته إلى ضرورة التحرر والسلم، وذلك بتحقق تقرير المصير، كما أبرز بشكل مختصر حالة الجزائريين في مجال المشاركة السياسية والحريات العامة وحقوق الإنسان[4]،كما شرح بيان الشعب الجزائري مدى ضعف النظام الاستعماري وذلك لأنّه جلب للأمة الجزائرية الفقر والجهل والتشرد، كما تسبب في عداء الجزائر مع العديد من الدول خاصة وأنّ فرنسا تسعى

---

(1) أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ج3، المرجع السابق، ص 270.

(2) أحمد توفيق المدني، حياة كفاح، ج2، المصدر السابق، ص 516.

(3) أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ج3، المرجع السابق، ص 271.

(4) أمحمد مالكي، المرجع السابق، ص 428.

إلى عزل الجزائر عن انتمائها العربي والإسلامي، خاصة وأنّ تلك الدول تربطها بالجزائر علاقات تاريخية عريقة[1].

لقي البيان فور نشره تأييدًا كبيرًا من طرف رجال الحركة الوطنية الذين التفوا من حوله وأنشأوا هيئة أطلقوا عليها اسم أنصار البيان والحرية، كما وقفوا وقفة رجل واحد متّحدين رافضي للسياسة الفرنسية والمستوطنين الذين لا يهمهم ما يحدث في الجزائر من قتل وتعذيب وغير ذلك[2]،لكن عند تقديم هذا البيان لدول الحلفاء سنة 1943م، رفضه الحاكم العام على الجزائر كاترو[3] الذي عين من طرف ديغول بعد استلائه على السلطة في الجزائر[4]، حيث أكد رفضه لمقترحات البيان جملة وتفصيلا، كما أكّد رفض فرنسا وعدم موافقتها على استقلال الجزائر[5].

في الختام فإنّ بيان الشعب انطلق من نقده ورفضه التام للاستعمار وأساليبه الوحشية ونتائجه السلبية، كذلك وقف مطولاً عند مبادئ الثورة الفرنسية عام 1789م، وركّز البيان على أهمية وضرورة نيل الحرية، حيث بيّن أنّ فرنسا هي التي تفرض نفسها وسياستها على الشعب الجزائري لتحقيق الإدماج لكنها لن تنجح في ذلك لأنّ الشعب يبدي مقاومة ورفضًا قاطعًا لكل مشاريعها، فهو يُناضل من أجل كرامته وأرضه، كما تطرق البيان إلى أسباب ضعف وفشل سياسة الإدماج التي طبقتها فرنسا، وكذلك ركّز على مختلف المراحل التي مرّ بها الاستعمار الفرنسي في الجزائر[6].

---

(1) نبيل أحمد بلاسي، الاتجاه العربي والإسلامي ودوره في تحرير الجزائر، (د ط)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، جامعة الزقازيق، 1990، ص 78.

(2) المرجع نفسه، ص 79.

(3) عمار عمورة، موجز في تاريخ الجزائر، ط1، دار ريحانة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2002م، ص 176.

(4) نبيل أحمد بلاسي، المرجع السابق، ص 79.

(5) عمار عمورة، موجز في تاريخ الجزائر، المرجع السابق، ص 177.

(6) حميد عبد القادر، فرحات عباس رجل الجمهورية، (د ط)، دار المعرفة، الجزائر، 2007م، ص 94.

2-مشاركته في الجبهة الجزائرية للدفاع عن الحرية واحترامها:

شهدت الجزائر إجراءات تعسفية بعد اكتشاف المنظمة الخاصة عام 1950م، شملت هذه الإجراءات جميع المواطنين دون استثناء، كما شهدت مهزلة انتخابية بتاريخ 17 يونيو 1951م ليس لها مثيل، مما دفع ببعض الحركات الوطنية للتفكير في ضرورة تحقيق وحدة وطنية للوقوف في وجه المستعمر ومواجهة الإجراءات والعمل من أجل البحث عن بديل للتعامل مع الإدارة الاستعمارية بصورة أكثر جديّة وواقعية[1]،وبتاريخ نهاية شهر تموز 1951 أصدر العلماء والإتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري والحزب الشيوعي الجزائري، وحركة انتصار الحريات الديمقراطية بلاغًا في جريدة المنار جاء فيه أنّ هذه التشكيلات قد أنشأت لجنة تحضيرية لتكوين جبهة جزائرية للدفاع عن الحرية واحترامها[2].

كما يعتبر الحزب الشيوعي أوّل من دعا إلى هذه الفكرة وكان ذلك من خلال نداء له في صحيفة الجزائر الجديدة النّاطقة بالعربية في شهر جانفي 1951م، جاء فيه: «لا مجال لتضييع الوقت لنكون جبهة متحدة ضد الاستعمار خلال الانتخابات القادمة»[3].

نتيجة للنشاط السياسي المكثف من قبل مختلف الحركات الوطنية الجزائرية بدأ عهد جديد، ففي سنة 1952م، اجتمعت الأحزاب السالفة الذكر بالإضافة إلى جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في مكتب الأستاذ أحمد توفيق المدني لتشكيل إتحاد يقوم بحماية حقوق الإنسان والحرية، ولقد تم في هذا الاجتماع انتخاب الأستاذ المدني أمينًا دائمًا لهذه الجبهة الجزائرية

(1) أم الخير قسوم، تطور حركة الإنتصار والحريات الديمقراطية 1946-1954، مذكرة لنيل شهادة الماستر في تخصص التاريخ المعاصر، جامعة محمد خيضر، بسكرة، 2013/2012م، ص 53.

(2) العربي الزبيري، تاريخ الجزائر المعاصر، ج1، (د ط)، إتحاد كتاب العرب، 1999م، ص 208.

(3) أم الخير قسوم، المرجع السابق، ص 53.

وكان ذلك بإجماع الحاضرين، ولقد كان الحاضرون في هذا الاجتماع يهدفون للوصول إلى النتائج التالية[1]:

أ- إلغاء الانتخابات التشريعية التي تم إجراؤها في 17 جوان 1951م، التي قامت فيها فرنسا بتعيين أشخاص من إرادتها لم يكونوا من اختيار الجمهور الجزائري[2].

ب- ضرورة احترام حرية التصويت في المجموعة الانتخابية القادمة[3].

ج- احترام الحريات أي: حرية الضمير، حرية الفكر، حرية الصحافة وحرية الاجتماع.

د- محاربة القمع بجميع أنواعه والعمل على تحرير المعتقلين السياسيين وإلغاء الإجراءات التعسفية المتخذة ضد مصالي الحاج [4].

هـ- إنهاء تدخل الإدارة الفرنسية في شؤون الدين الإسلامي[5].

جرت المناقشات بتاريخ 28 جويلية وكذلك 05 أوت 1951م، حيث تمّ عقد جمعية تأسيسية بحضور 700 مندوب وكانت كل الأحزاب حاضرة في المنبر، رفضت هذه الجبهة السياسة الفرنسية القائمة على الإكراه والتزوير، وكذلك القمع بكل أشكاله، وكان نشاطها كما يلي: احتوائها على 36 لجنة مع نهاية عام 1951م لها أعمال عديدة منها إرسال لجنة تحقيق إلى الأوراس، كذلك مقررات تطالب بإطلاق سراح معتقلي المنظمة الخاصة، الذين

(1) أحمد توفيق المدني، حياة كفاح، ج2، المصدر السابق، ص 12.

(2) العربي الزبيري، تاريخ الجزائر المعاصر، ج1، المرجع السابق، ص 208.

(3) علي كافي، مذكرات علي كافي من المناضل السياسي الى القائد العسكري، المصدرالسابق، ص 54.

(4) كاتب مجهول، لجنة إنشائية لتأسيس جبهة جزائر للدفاع عن الحرية واحترامها، البصائر، العدد 166، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ص 241.

(5) العربي الزبيري، تاريخ الجزائر المعاصر، ج1، المرجع السابق، ص 209.

حولوا إلى محكمة الاستئناف في أوت 1951م، كما أنّها تُناهض عمليات حجز "جريدة الجزائر الحرة"، إضافة إلى عقد تجمعات في المدن الرئيسية[1].

يُعتبر تاريخ 05 أوت التاريخ الذي انبثقت فيه جبهة شعبية أطلق عليها اسم الجبهة الجزائرية للدفاع عن الحرية واحترامها[2]، وكان أحمد توفيق المدني مؤيدًا لأهداف الجبهة والأفكار التي تم مناقشتها لأنّ المدني يسعى إلى لمّ شمل الشعب الجزائري وتوحيده على كلمة واحدة، حيث لخص مطالب الجبهة في النقاط التالية:

- حل المجالس المداسة.
- إجراء انتخابات حرة.
- تنفيذ فصل الدين عن الدولة وترسيم اللغة العربية.
- إطلاق سراح المعتقلين السياسيين على رأسهم مصالي الحاج[3].

وقد تمّ وضع نظام داخلي للجبهة على النحو التالي:

1- الأمانة الدّائمة أو المكتب الدّائم ويتكون من 10 أعضاء من بينهم السيد أحمد توفيق المدني، حيث يُمثل كل حركة عضوان وهؤلاء الأعضاء أجبروا على الإقامة بالعاصمة.

2- اللجنة التنفيذية المنتخبة (اللجنة الإدارية) أو اللجنة التحضيرية هذه الأخيرة مشكّلة من ممثلي الحركات الوطنية، وكل حركة يُمثِّلها ستة أعضاء كما تمّ إضافة شخصيات مستقلة، وعليه فقد أصبح أعضاء اللجنة الإدارية 30 عضوًا[4].

(1) محفوظ قداش، تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية 1939-1951، ج2، ترجمة أحمد بن بار، دار الأمة، الجزائر، 2008م، ص 123.
(2) أم الخير قسوم، المرجع السابق، ص 53.
(3) أحمد توفيق المدني، هذه هي الجزائر، المصدر السابق، ص 189.
(4) أم الخير قسوم، المرجع السابق، ص 54.

كما تعتبر هذه الجبهة من الهيئات الأولى التي تقوم بواجب التضامن والاحتجاج خاصة إلى جانب الدول الواقعة تحت السيطرة الاستعمارية، مثل تونس والمغرب، حيث عبّرت عن مساندتها وتأييدها لتونس إثر الأحداث الرامية التي قام بها المستعمر الفرنسي على أراضيها راح ضحيتها مئات القتلى والجرحى، حيث بعثت هذه الجبهة إلى المراجع الفرنسية والأممية بالعديد من البرقيات وكذلك نشرت الى الأمة البلاغات في هذا السياق وكان الشيخ أحمد توفيق المدني من بين الموقّعين عليها[1].

3-موقف المدني من المؤتمر الإسلامي:

يعتبر الشيخ عبد الحميد ابن باديس صاحب فكرة إنشاء المؤتمر الإسلامي[2]،حيث دعى كافة زعماء الحركات السياسية الجزائرية إلى ضرورة عقد مؤتمر من أجل دراسة الأوضاع المتردية في القطر الجزائري والعمل من أجل إيجاد حلول تُخرج الأمة من حالة البؤس التي هي عليه، وقد تمّ قبول هذه الفكرة من قبل معظم التنظيمات السياسية، حيث تمّ الاتفاق على عقد المؤتمر بتاريخ 07 يوليو 1936م وذلك بنادي الترقي[3].

قامت الأطراف المؤيدة لهذه الفكرة بعقد المؤتمر بالملعب البلدي بالعاصمة الجزائرية يوم الأحد 07 يوليو 1936م، وأطلق على هذا اليوم "يوم الجزائر المشهود"، فحسب الدكتور أبو القاسم سعد الله أنّ سبب إطلاق هذه التسمية اعتبار الجزائر أنها استعادت فيه نفسها وتَبيّنت فيه طريقها، كما قال الشاعر محمد العيد في هذه المناسبة أبيات شعرية باعتباره أحد أفضل الشعراء المُعبّرين عن أحداث عصره، يقول[4]:

---

(1) أحمد توفيق المدني الجبهة الجزائرية للدفاع عن الحرية وحوادث القطر التونسي الشقيق، البصائر، العدد 182، 01 فيفري 1952.

(2) الشهاب، م 12، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1937م، ص 237.

(3) نبيل أحمد بلاسي، المرجع السابق، ص 76.

(4) أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ج3، المرجع السابق، ص 154.

يا فرنسا ردي الحقوق علينا * وأقلي الأذى وكفى الوعيد

نحن رغم الطغاة في الدين أحرار * وإنّ خالنا الطغاة عبيدا[1]

لقد شهد هذا المؤتمر مشاركة جميع الأحزاب السياسية [2]على غرار اتحاد المسلمين المنتخبين والحزب الشيوعي وكذلك الحزب الاشتراكي، وبعض المستقلين وكذلك جمعية العلماء المسلمين[3]، ويعتبر أحمد توفيق المدني العضو البارز فيها الذي حاول إقناع الشيخ عبد الحميد ابن باديس بضرورة إضفاء صبغة وطنية على مطالب هذا المؤتمر الذي يعتبر الأول من نوعه[4]، لكن هذا المؤتمر لم يعرف مشاركة نجم شمال إفريقيا لأنّ هذا الأخير كان متمسكًا بمطلب الاستقلال فقط[5]، دامت أيام المؤتمر ثلاثة أيام[6]، لقي هذا المؤتمر استحسانًا حيث تم اعتباره أوّل خطوة للأمة الجزائرية في مرحلتها الجديدة، كما اعتبر الصفحة الأولى في التاريخ الجزائري المجيد، وذلك لأنّ الأمة الجزائرية بجميع عناصرها تعتمد على مبدأ واحد تعود إليه وتنطلق منه ألا وهو الدين الإسلامي والدولة الجزائرية، ويُعتبر هذا المبدأ فوق الجميع، وكان الدافع الرئيسي من وراء عقد المؤتمر شعور الأمة بالحرمان من الحياة عامة وفي نفس الوقت شعورها بالحاجة إليها، لكن فرنسا سعت إلى محو مقومات الأمة الجزائرية ،بل وحتى محو كلّ شخص جزائري والقضاء عليه لتمسكه بهذه المقومات، ففرنسا حاربت كل شيء على الأرض الجزائرية، بهدف جعل الجزائر مقاطعة فرنسية، وجزء لا يتجزأ منها[7].

---

(1) أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ج3، المرجع السابق، ص154.

(2) أحمد مهساس، الحركة الثورية في الجزائر، ص 221.

(3) نبيل أحمد بلاسي، المرجع السابق، ص 76.

(4) أحمد مهساس، المرجع السابق، ص 222.

(5) نبيل أحمد بلاسي، المرجع السابق، ص 76.

(6) أحمد طالب الإبراهيمي، ج1، المصدر السابق، ص 294.

(7) المصدر نفسه، ج1، ص 292.

كان للمؤتمرين أهدافًا مسطرة تمثلت في بلورة الرأي العام وتعبئته والتعريف بحقوق المواطنين والعمل على تغيير ما يتخبط فيه الشعب من ظلم وقهر من قِبل الإدارة الاستعمارية، ولقد كانت الحركات الإصلاحية في سنوات الثلاثينات في أوج ازدهارها، حيث جمعت الأمة تحت راية المؤتمر الإسلامي واشتركت فيه مختلف الطاقات الوطنية للخوض في معركة شاملة في سبيل إرجاع حقوق الأمة المغتصبة من طرف فرنسا، خطوة بخطوة عملاً بسنة الله القائم على التدرج في الخلق والتشريع[1]،فهذا المؤتمر كان عنوانًا لإتحاد الأمة علقت عليه آمالاً كبيرة، حيث تمحورت فيه مطالبها الحيوية وكذلك مطالبها القومية، وكان له صدى في الأوساط العامة وكان شغلاً شاغلاً على الألسنة سواء لدى المؤيدين أو الرّافضين له، كما كان يجمع كل الحقوق التي تسعى الأمة الجزائرية للتمتع بها في بلدها[2].

بعد المناقشات والمداولات بين المشتركين في المؤتمر تم الاتفاق على المطالب التالية:

- إلغاء جميع القوانين الاستثنائية.
- منح المسلمين جميع الحقوق التي يتمتع بها الفرنسيين في الجزائر، مع التمتع الكامل بالميزات الإسلامية وإدخال إصلاحات عليها.
- منح الجزائريين حق التمثيل السياسي في البرلمان الفرنسي.
- انتخاب مشترك بين المسلمين والفرنسيين أي إلغاء النظام الثنائي في الانتخابات والتأكد من المحافظة على الأحوال الشخصية.
- تأسيس لجنة تنفيذية للمؤتمر [3].

---

(1) الشهاب، م 16، ص 68.

(2) أحمد طالب الإبراهيمي، ج1، المصدر السابق، ص 192.

(3) أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ج3، المرجع السابق، ص 157.

لقد قدّم الشيخ عبد الحميد ابن باديس نقطتين تمثل مطالب جمعية العلماء والتي وافق عليها المؤتمرون بالإجماع وتمثلت هاتين النقطتين في:

1- اعتبار اللغة العربية لغة رسمية تكتب بها جميع المناشير الرسمية.

2- حرية صحافتها مع إعطاء الحرية لتعليمها في المدارس الحرة وتسليم المساجد للمسلمين وتخصيص ميزانية لها تتولى أمرها جمعيات دينية، وتأسيس كلية لتعليم الدين ولسانه العربي لتخريج موظفي المساجد، وتنظيم القضاء على يد هيئة إسلامية تُنتخب بإشراف الجمعيات الدينية(1).

أثار مشاركة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين الكثير من التساؤلات حيث تعرضت لجملة من الانتقادات، وذلك لأنّها تدعو إلى المحافظة على الشخصية الجزائرية الإسلامية، كما أنّها تُحارب الإدماج بكل أنواعه، في نفس الوقت الذي تُشارك فيه بالمطالبة بالمساواة، ودفع ذلك كل من الشيخ البشير الإبراهيمي وأحمد توفيق المدني للدخول في سلسلة من التبريرات والتأكيد على أنّ الجمعية تسعى إلى المحافظة على الشخصية العربية الإسلامية، لكن الجمعية وافقت على مبدأ المساواة بعد أنْ رفضته في البداية(2).

لم يكن أحمد توفيق المدني راضيًا أبدًا على المطالب المُقدمة من قِبل المؤتمر ولا مُصادقًا على الوسائل المبذولة، حيث يقول: «يا قوم لقد رأيتم انهيار كل مطالبكم الاندماجية، ورأيتم مصداقية المستعمرين لكم وهم القوة الوحيدة بالبلاد، وستستمر هذه المقاومة سواء مع الجبهة الشعبية أو بدون الجبهة الشعبية، فطوروا مطالبكم، وأنتم تجمعون مؤتمرًا لأول مرة في تاريخ الجزائر، ونادوا بالقومية الجزائرية وبإحراز على تحقيق حكم الأغلبية مع بقائكم مرتبطين بفرنسا إلى حين، ونادوا بوجوب تكوين حكومة جزائرية وانتخاب

(1) المرجع نفسه، ص 257.

(2) نبيل أحمد بلاسي ، المرجع السابق، ص 77.

برلمان جزائري، مع حفظ حقوق فرنسا والفرنسيين بالجزائر»[1]،لم يوافقه في رأيه هذا فرحات عباس وكذلك الشيخ عبد الحميد ابن باديس واعتبروا هذا إعلان حرب على فرنسا وأنّ الوقت لم يحن بعد بل في الأول يجب التركيز على استقلال الدين وحرية اللغة العربية، أمّا توفيق المدني فقد تحدّاهم وأخبرهم أنّه سيحضر المؤتمر ويُخاطب المؤتمرين ويُقنعهم برأيه، لكن وقف ضده كل رجال الجمعية والنادي وكذلك النواب وقالوا له لا تكن عامل إفساد[2].

كما تقرر أنْ يُسافر عن المؤتمر وفد مُكون من خمسة أعضاء عن كل عمالة من عملات الجزائر الثلاث بهدف عرض مطالبهم على حكومة الجبهة الشعبية، لكن هذه الأخيرة فاجأت المؤتمرين برفض مطالبهم وعدم منحهم الجنسية الجزائرية إذا لم يتنازلوا عن قانون الأحوال الشخصية الإسلامية مما أدى إلى فشل المؤتمر وتفرق أعضائه[3].

4-خطابه اتجاه الاستعمار:

كان الشيخ أحمد توفيق المدني رافضًا للاستعمار بكل أشكاله ووسائله ناقدًا له وحاقدًا عليه وذلك لأنّه تربى وترعرع في حضن عائلة ثورية رافضة للمستعمر، ويتضح موقف المدني من الاستعمار من خلال كتاباته في مختلف الصحف خاصة الصحف الصادرة عن جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، حيث وصف المدني الاستعمار بأنّه يلهث وراء أطماعه ويسعى لتحقيقها على حساب الدول الضعيفة، وأنّ هذا المستعمر يهدف إلى استغلال خيرات البلدان ومواردها والانتفاع بها دون أهلها[4].

يَعتبر أحمد توفيق المدني أنّ كل الاتفاقيات والمعاهدات مع سلطات المستعمر كانت مجرد حبرًا على ورق وكل الوعود التي قطعتها فرنسا على الشعب الجزائري هي وعود كاذبة،

(1) أحمد توفيق المدني، حياة كفاح، ج2، المصدر السابق، ص 364.
(2) المصدر نفسه، ص 365.
(3) نبيل أحمد بلاسي، المرجع السابق، ص 77.
(4) أبي محمد، منبر السياسة العالمية، البصائر، العدد 105، ص 04.

وأنها جاءت فقط لتخفيف حدة التوتر بين الجانبين وكذلك تخفيف الضغط الجزائري على فرنسا، وبيّن المدني أنّ وعود فرنسا للشعب الجزائري في ظاهرها تظهر العطف على المواطنين والاعتراف بجميله واستحقاقه لكل الحقوق التي يُطالب بها، وكذلك إظهار ما يربط البلدين من علاقات في خطوة منها لتغطية جرائمها ومغالطة الحقائق التاريخية، كما أشار المدني أنّه وفي خضم هذه الأحداث والمعاناة فإنّ الشعب الجزائري وإنْ فقدَ كلّ شيء إلاّ أنّه لم يفقد دينه الذي يعتبر الأساس في حياة كل الشعوب الإسلامية[1]، فالمستعمر حسب كتابات المدني يُقيِّد كل ممارسات الشعب ونشاطاته في مختلف المجالات، خاصة المجال السياسي والثقافي، وذلك أنّ الإدارة الاستعمارية تمنع بكل الطرق تشكيل الأحزاب والمنظمات السياسية من خلال سنِّها لقوانين تنص على ذلك، واتخاذ إجراءات لوقف كل نشاط له صلة بالمجال السياسي، إضافة إلى القيام بغلق المدارس والمساجد وتحويل بعضها إلى ثكنات عسكرية فرنسية أو إلى إسطبلات وغير ذلك، وتعتبر هذه الإجراءات السبب الرئيسي في انتشار الجهل والأمية في أوساط الشعب الجزائري، كما شددّت الإدارة الاستعمارية الرقابة على كل تنظيم أو حركة[2].

كما تحدث المدني على الأوضاع الداخلية التي تمر بها الشعوب التي تحت رحمة الاستعمار من بلايا وتعذيب في السجن، وأشار إلى عزم وقوة هذه الشعوب وما تُبديه من مقاومة في وجه المستعمر، وما يستعمله من أسلحة فتاكة التي تُعتبر من أخطر الأسلحة الممنوعة دوليًا، خاصة في عام 1945م[3].

(1) الشهاب، م 12، ج4، ص 197.

(2) أحمد توفيق المدني، حياة كفاح، ج2، المصدر السابق، ص 406.

(3) أبي محمد، منبر السياسة العالمية، البصائر، العدد 125، ص 04.

وصف المدني الاستعمار الفرنسي بأنّه عدو جاهل يحمل الحقد والضغينة والكره والجفاء للمسلمين عامة في شمال إفريقيا، ودليل ذلك الممارسات التي تُعبِّر عن مواقفهم وآرائهم من الدولة العربية الإسلامية[1].

يتضح للقارئ من خلال كتابات المدني حول الاستعمار وسياسته المُطبّقة في الدول الضعيفة خاصة دول شمال إفريقيا مدى جرأته وشجاعته في وصف المستعمر وكذلك موقفه الحاد النابذ له، حيث وصفه بمواصفاته الحقيقية وبكل موضوعية، حيث يقول المدني: «لقد كان الاستعمار الظالم الخبيث هو السبب في انحدار وفشل جمعية الأمم...»، وبعد طرحه لسلسلة من التساؤلات حول احتلال فرنسا للجزائر وعن تمزيق الاستقلال التونسي شر تمزيق فرضت سيادتها على ذلك البلد بدعوى الدفاع عن الجزائر ليُضيف المدني ويقول: «فكذبة استعمارية جديدة تُكذبها السياسة الفرنسية لتبرير حملتها على الهند الصينية»[2]، فالاستعمار الفرنسي في الجزائر مارس كل مسميات الاسترقاق والعنصرية، فكان يهدف إلى تجريد الجزائري من كل انتماءاته العربية الإسلامية من خلال محو ذاكرته بأنّ له وطنًا وثقافة وتاريخًا[3].

المبحث الثاني: موقفه من قضايا عصره من خلال كتاباته

1- احتفال فرنسا بالذكرى المئوية للاحتلال الجزائر:

(1) أحمد توفيق المدني، حياة كفاح، ج2، المصدر السابق، ص 401.

(2) أبي محمد، أقتلوا الاستعمار أو يقتلكم، البصائر، العدد 04،الجزائر،01اوت،1947، ص 03.

(3) أحمد توفيق المدني، جغرافية القطر الجزائري، (د ط)، دار البصائر، الجزائر، 2009م، ص 06.

لم تكتف سلطات الاستعمار الفرنسي بعمليات القتل والتنكيل وانتهاك الحرمات طيلة قرن من الزمن بل تعدَّاها ذلك إلى تتويج هذه المآسي بإقامة حفل عظيم منبره رقص وغناء على أشلاء شعب أعزل لم يؤمن برسالتهم ولم يرضخ لقوتهم الحديدية(1)،حيث تمّ اختيار عام 1930م للاحتفال بمرور مائة سنة على التواجد الفرنسي بالجزائر، كما تمّ تشكيل اللجنة الوطنية لمئوية الجزائر، هذه الأخيرة قامت بإصدار اثني عشر كُتيبًا وتولت الإعداد لهذا الاحتفال الذي انطلق من 1930/05/04، أمّا عن أبرز الأحداث التي سبقت الاحتفالات فتمثلت في ضجة إعلامية في فرنسا وكذلك في الجزائر، حيث لقي هذا الحدث تمجيدًا عظيمًا حتى قبل انطلاقه ودليل ذلك مختلف التصريحات التي أدلى بها مختلف الشخصيات الفرنسية في العديد من وسائل الإعلام سواء في فرنسا أو الجزائر(2)، فالأجواء التي ميّزت الاحتفالات كانت أجواء بهيجة وذلك بارتداء ملابس ذات ألوان زاهية وبراقة، طبعت وزينت كافة الساحات العمومية، كما تمّ ارتداء البرانس الحمراء الأرجوانية اللون من قبل الباشا والأغوات، أمّا عن القادة العسكريين والمعمرين فقد ارتدوا ملابس أنيقة، كما تمّ إعداد برانس بسيطة في هذه المناسبة حيث علقت على صدورها نيشان وأوسمة عديدة التي تم جنيها في ميادين القتال خلال الحرب العالمية الأولى 1914-1918م(3).

كانت احتفالات فرنسا بذكراها المئوية في سنة 1930م دافعًا قويًا لقيام حِراك قومي وطني في الجزائر، أدى إلى تطور عصري في تفكير الحركة الوطنية(4)،فرغم الظروف المؤلمة خاصة بعد حل حزب نجم شمال إفريقيا بقرار حكومي ورفض الشيوعيون فكرة

---

(1) محمد قنانش، الحركة الاستقلالية في الجزائر بين الحربين 1919-1939م، (د ط)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982م، ص 52.

(2) عمار بن تومي، الجريمة والفظاعة 1923-1954م، (د ط)، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2013م، ص 123.

(3) مجلة الثقافة، العدد 83، ص 59.

(4) Robert et Maroinne cornevin ; histoire de l'Afrique des origines à la 2° guerre mondiale, petite bibliotèque poyot, Boulevard saint Gemain, Paris, P 339.

استقلال الجزائر أبدت الحركة الوطنية صمودها بقوة إيمانها وعزمها الصادق، إذ أوّل ما قامت به هو إرسال مذكرة الى عصبة الأمم التي كانت تجتمع في جنيف تحتج فيه على الحالة التعسفية التي يعيشها الشعب الجزائري وعلى سكوتها على عدم تطبيق القرار الأساسي التي قامت من أجله والمتمثل في حق الشعوب في تقرير المصير[1].

لقد شعر معظم الزعماء السياسيين الجزائريين وكذلك المثقفين والمفكرين باستفزاز السلطات الاستعمارية لهم، وعلى رأس هؤلاء أحمد توفيق المدني الذي أكّد أنّ هذه الاحتفالات كانت حافزًا قويًا للجزائريين للقيام بردود أفعال جرّاء ما تعرضوا له من تصريحات مُهينة تمسُّ بعقيدتهم وانتمائهم القومي، حيث يقول في ذلك: «إنّ احتفال الفرنسيين بمرور قرن على احتلالهم أرض الجزائر قد قدّم القضية الجزائرية عشرين سنة على الأقل»[2].

يتضح من كتابة المدني لهذه السطور مدى تأثير هذه الاحتفالات في نفوس الشعب الجزائري عامة وليس الزعماء والمفكرين فقط، حيث أيقظت الأمة الجزائرية التي تمسكت بمطلب رئيسي وهو الاستقلال وحق الشعب في تقرير المصير.

كما كان المدني أبرز الشخصيات المتأثرة بهذه الاحتفالات المُشينة ودليل ذلك إلقائه بمختلف الخطابات الحماسية تصريحاته لرفع معنويات الشعب الجزائري وحثّه على ضرورة التمسك بالدفاع عن قضيته الوطنية ومقوماتها، بكل الوسائل المتاحة، إذ قال في ذلك: «كنت اضطرم نارًا، كنت أُلهب حماس القوم، الذين كانوا يكتفون بمقابلة ذلك بدموع سخية»[3]، حيث أكد على ضرورة تمسك الشعب الجزائري بدينه ولغته وتوليه مسؤولية المحافظة عليهما، لأنّ الحكومة الفرنسية لن تُراعي أبدًا مصالح الشعب الجزائري بل هي تعمل لصالحها فقط، ويُبرر ذلك بتواجدها في الجزائر طيلة قرن من الزمن ولم تُقدِّم لهم أي

(1) محمد قنانش، الحركة الاستقلالية في الجزائر بين الحربين 1919-1939م، المرجع السابق، ص 52.

(2) أحمد توفيق المدني، هذه هي الجزائر، المصدر السابق، ص 167.

(3) أحمد توفيق المدني،هذه هي الجزائر، المصدر السابق ، ص 171.

شيء، ولم تبذل أي جهد في سبيل تعليمهم الإسلام والعربية، فالإدارة الاستعمارية تسعى جاهدة بكل الطرق للقضاء على كل مقومات الشخصية الجزائرية(1).

2- التجنيس:

كان أوّل مشروع لتحقيق تجنيس جماعي من طرف فرنسا في الجزائر عام 1843م، وهذا المشروع اقتصر على يهود الجزائر فقط، وذلك لأنهم كانوا مؤيدين ومرحبين بفكرة تواجد فرنسا في الجزائر، حيث لقي هذا المشروع إقبالاً كبيرًا وسريعًا، حيث التفوا إلى جانب المحتلين الغرباء في البلاد وأهلها، لكن في تاريخ 14 جويلية 1865م تمّ إصدار قرار من المجلس نص على منح الجنسية الفرنسية لليهود والمسلمين معًا مع احتفاظ المسلمين بأحوالهم الشخصية(2)، وفي سنة 1930 سادت حالة بؤس ويأس كبيرين لدى عامة الشعب الجزائري من أقصى شرقهم إلى أقصى غربهم نتيجة استعدادات السلطات الاستعمارية للاحتفال بذكراها المئوية لاحتلال الجزائر، إضافة إلى اعتبارها الشعب الجزائري شعب مغلوب على أمره، والمظلوم المحتقر، حيث قال المدني في خضم هذه الأوضاع والظروف العصيبة: «مما دفع بعض الصارخين الضعفاء يصرخ ويقول يا قوم لا خلاص لكم من هذه المحنة الرهيبة إلاّ التجنس»(3).

تم رفض مشروع التجنس من قبل كل أعضاء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين على رأسهم أحمد توفيق المدني، حيث بلغ رفض التجنس من قبل الأعضاء إلى اعتبار كل متجنس بالجنسية الفرنسية أنّه خارج عن الدين الإسلامي، إذْ أفتى الشيخ عبد الحميد ابن باديس في ذلك بالقول: «التجنس بجنسية غير إسلامية يقتضي رفض أحكام الشريعة

---

(1) المصدر نفسه، ص 166.

(2) يحيى بوعزيز، كفاح الجزائر، (د ط)، المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر، 1986م، ص 203.

(3) أحمد توفيق المدني، حياة كفاح، ج2، المصدر السابق، ص 236.

الإسلامية، ومن رفض حكمًا واحدًا من أحكام الإسلام عُد مرتدًا عن الإسلام بالإجماع، فالمتجنس مرتد بالإجماع، والمتجنس بحكم القانون الفرنسي يجري تجنيسه على نسله، فيكون قد جنى عليهم بإخراجهم من حظيرة الإسلام، وتلك الجناية من شر الظلم وأقبحه، وإثمها متجدد عليه ما بقي له نسل في الدنيا خارجًا عن شريعة الإسلام بسبب جنايته...»[1].

يقول المدني حول قضية التجنيس: «أنّ زعيم المتجنسين وهو السيد سالمور ولد له طفل أطلق عليه اسم كريستيان أي المسيحي، وشاءت الأقدار أنْ يلد طفل لدى المدني أيضًا في نفس الوقت وأطلق عليه اسم إسلام، وأخبر الجميع في نادي الترقي أنّ هذين الاسمين منهاج سياستين: سياسة التجنيس تجعل أولادكم كريستيان وسياسة العروبة والوطنية والإسلام تجعل أولادكم إسلام»[2]،وهذا دليل واضح على رفض توفيق المدني لسياسة التجنيس التي تعتمدها فرنسا في الجزائر، خاصة وأنّ الاستعمار يسعى بشتى الطرق لجعل الجزائر تابعة لفرنسا من خلال القضاء على مقوماتها الوطنية من بينها الجنسية الجزائرية وبالتالي يرفض الاعتراف بها وكذلك وصف الجزائريين بكلمات احتقارية[3].

كما يتّضح موقف المدني الرّافض للتجنيس من خلال مختلف الخطابات والتصريحات وكذلك كتاباته، حيث كتب يقول: «ومما زاد الطين بلة، والجرح عمقًا هو أنّ جريدة الإصلاح التي كان ينشرها السيد الطيب العقبي قد تحمست لتلك الفكرة وأخذت تروج، ويكتب فيها الأستاذ الأمين العمودي المقالات المطولة التي تحبذ ذلك الطريق المعوج»،وكان ردّ فعل المدني جراء هذا الأمر إرساله مقالاً لجريدة الإصلاح بيّن من خلاله موقفه الرافض للتجنيس

(1) محمد الصالح رمضان، من فتاوى التجنيس والتفرنس والتزوج بالأجنبيات، مجلة الثقافة، العدد 83،14 ذو الحجة سبتمبر 1984م، ص 368.

(2) أحمد توفيق المدني، حياة كفاح، ج2، المصدر السابق، ص 249.

(3) عبد الرحمن بن ابراهيم بن العقون، الكفاح القومي والسياسي من خلال مذكرات معاصر 1947-1954، ج3، ط2، منشورات السائحي، الجزائر، 2008م، ص 234.

وما ينجر عنه من مشاكل وعقابات تزيد من معاناة الأمة الجزائرية، وتُصعِب الطريق نحو الهدف المنشود لتحقيق طموحهم في الاستقلال وكان هذا المقال تحت عنوان "بين الموت والحياة"، كما أرسل معه رسالة للشيخ الطيب العقبي[(1)]،وعليه فقد كان المدني من أبرز أعضاء جمعية العلماء التي تُنادي بلا تجنيس، حيث حرر العديد من المقالات يشرح فيها موقفه وكذلك سلبيات هذا المشروع وأهداف فرنسا الخفية منه.

3-القضية البربرية:

يرى محمد حربي أنّ من سلبيات بعض المفكرين والعلماء في مستواهم الثقافي والدّراسي لتاريخ المغرب العربي إنكارهم لحقبة زمانية كاملة من تاريخ الجزائر، خاصة تلك السابقة للفتح الإسلامي، في القرن السابع، وكذلك الفترة الممتدة من بداية الاستعمار إلى نهايته أي 1830 إلى 1962م، وقد أدى موقف عدائهم للبربر إلى زيادة حدة وخطورة المشاكل المتعلقة بالوحدة الوطنية، كما أشار إلى أنّ صفارات الإنذار التي أطلقها المدني خلال ثلاثينات القرن الماضي تبدو مبالغ فيها لأنّ كل مجهودات الاستعمار في تنصير المجتمع الجزائري باءت بالفشل[(2)].

لقد اعتبر المدني البربر بأنهم أوّل سكان بلاد المغرب العربي ويدعون أنفسهم الأمازيغ، حيث قال: «البربر قوم أشراف، يدعون أنفسهم الأمازيغ أي السادة الأحرار، لا يتحملون الخضوع لسلطان، ولا يرضخون للقوة، وأنهم أوّل سكان المغرب العربي أو بالأحرى أوّل سلالة بشرية سكنت هذه البلاد، جاؤوا من آسيا، وهم أبناء العرب والفينيقيين أي أنهما من سلالة واحدة»[(3)].

---

(1) أحمد توفيق المدني، حياة كفاح،ج2،المصدر السابق،ص237.

(2) محمد حربي، الثورة الجزائرية سنوات المخاض، ترجمة: نجيب عياد، صالح المثلوثي، (د ط) ، موفم للنشر، الجزائر،1994م. ص

(3) أحمد توفيق المدني، كتاب الجزائر، المصدر السابق، ص 65.

أمّا عن سلطات الاستعمار فقد عملت على إيجاد سياسة خاصة ببلاد البربر من أجل خلق العداوة ونشر الحقد والضغينة بين أهل البلاد وبين العرب تطبيقًا لمبدأ فرق تسد، إذْ أنّه وبناءًا على إحدى التقارير فإنّه يوجد 29% من البربر في الجزائر و 60% في مراكش و 21% في تونس[1].

حول هذا الموضوع يؤكد المدني أنّ الإدارة الفرنسية منذ نشأتها إلى زوالها تسعى دومًا إلى التفرقة ونشر الخصومات بين مختلف عناصر السكان الجزائريين، فهي التي تكون دائمًا سببًا في إثارة الفتنة والكراهية بين العنصر البربري والعربي[2]،لأنّ فرنسا منذ أوّل يوم تواجدها بالجزائر وهي تحارب الدين الإسلامي وكذلك اللغة العربية سعيًا منها بشتى الطرق لإحلال محلها الديانة المسيحية واللغة الفرنسية على التوالي، وذلك من أجل فرنسة المجتمع الجزائري ودمجه في المجتمع الفرنسي المسيحي، وبالتالي اقتطاع الجزائر من امتدادها الجغرافي العربي والإسلامي وكذلك الحضاري الذي يربطها بالعالم العربي الإسلامي[3].

فالسياسة المتبعة من طرف الاستعمار الفرنسي تُعدُّ السبب الرئيسي لظهور الفكر البربري في الجزائر، فهذه الأخيرة معادية للعروبة والإسلام لأنّها تهدف إلى خلق هوية جديدة داخل الإطار الفرنسي الأوروبي[4].

يُؤكد أحمد توفيق المدني أنّ الإدارة الاستعمارية تعمل على إيقاد النار ولا تسعى إلى إخمادها وأنّ لها أعوان خفاء أو معروفين يخدمون مصالحها ويعملون على نشر أفكارها، ودليل ذلك ما قامت به في مدينة غرداية وما حدث فيها من صراعات بين المالكية

---

(1)_الشهاب، م 11، قسنطينة، غرة ربيع الثاني 1354هـ/ جويلية 1935م، ص 268.

(2) أحمد توفيق المدني، حياة كفاح، ج2، المصدر السابق، ص 310.

(3) يوسف مناصرية، دراسات وأبحاث في المقاومة والحركة الوطنية الجزائرية 1830–1954م، (د ط)، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2013م، ص 330.

(4) المرجع نفسه، ص 330.

والإباضية[1]، فالسياسة الفرنسية تسهر على تضييق الخناق على الإسلام واللغة العربية وكذلك التقاليد الإسلامية، وفي المقابل كان الشعب الجزائري يرتكز على الإسلام والبلدان العربية حيث يعتبر الإسلام المحرك الكبير للدفاع عن الشخصية والكرامة والارتباط التاريخي مع باقي الدول العربية، وذلك باعتبار الجزائر جزء لا يتجزأ من العالم العربي والإسلامي[2].

كان جلُّ العلماء والمفكرين الجزائريين على دراية تامة بالسياسة الفرنسية وأهدافها الخفية التي تسعى إلى تحقيقها في الجزائر، إذْ عمل هؤلاء على نشر الوعي الديني والوطني ، كما صرح الشيخ أحمد توفيق المدني عام 1939 أنّ اللغة العربية والإسلام في منطقة القبائل يحيط بهما خطر كبير، كما دعى إلى ضرورة إيجاد حل سريع من أجل إنقاذ الوضع قبل تفاقمه، كما أدان بشدة ما يقوم به الفرنسيون من أجل تنصير المسلمين الجزائريين وإخراجهم من الحضيرة العربية والدين الإسلامي[3].

كان للمدني مساعي كثيرة لإخماد نار الفتنة التي أحدثتها الإدارة الفرنسية سواء بين البربر والعربي أو بين المالكية والإباضية في مدينة غرداية، حيث عمل على إنهاء الصراعات من خلال استغلال بعض العقلاء بين الطرفين، كما حثَّ الأمة على ضرورة اشتغالها بما هو أهم وأصلح، لكن قضية غرداية أخذت منعرجًا آخر وتطورت تطورًا كبيرًا إلى أنْ توصل الأمر إلى انتشارها في كامل أرجاء الوطن وأصبحت هناك دعايات ضد الإخوان الإباضيين نشر أفكارًا ضدهم، وكان وراء كل هذه الأحداث والنزاعات وتطورها الإدارة الفرنسية التي تسعى إلى تقسيم الوطن الجزائري وتثبيت أقدامها لجعل الجزائر مقاطعة فرنسية[4]، ففرنسا

---

(1) أحمد توفيق المدني، حياة كفاح، ج2، المصدر السابق، ص 311.

(2) mahfoud Kaddach ; le parti du peuple Algérien (P.P.A) 1937-1939 ; office des publication universitaires, Alger,1983, P 69.

(3) عبد الكريم بوصفصاف، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وعلاقاتها بالحركات الجزائرية الأخرى 1931−1945، (د ط)، عالم المعرفة، الجزائر،2009، ص 132.

(4) أحمد توفيق المدني، حياة كفاح، ج2، المصدر السابق، ص 317.

كانت تدرك تمام الإدراك مدى خطورة السياسة البربرية على الوحدة الوطنية، فهي تلعب دورًا كبيرًا في تحقيق الشقاق والفرقة بين السكان وكانت فرنسا تُقر بوجود ثلاث نقاط أساسية وهي: أنّ هناك تناقض بين العرب والبربر وأنّ هناك اختلاف بين العرقين كما أنّ فرنسا تُفضل الجنس البربري على الجنس العربي، وذلك لأنّ الجنس البربري يُبدي تأييدًا وتقديرًا للاستعمار، وأنّه على درجة كبيرة ورفيعة من التطور والتحضر، وكذلك أنّ البربر يُبدون استعدادهم لفكرة الاندماج بالمجتمع الفرنسي سياسيًا واجتماعيًا وحتى ثقافيًا، أي أنهم مُرحِبين بفكرة التواجد الفرنسي في الجزائر ودمج المجتمع الجزائري في المجتمع الفرنسي المسيحي دون أي إشكال[1]،حيث يقول المدني: «كنت أرى ذلك وأشاهده، وكنت أقاومه وأصدامه، وكنت أتوخى أحسن الطرق لكي أدرأ على الشعب المسكين سوء العقبى التي يريدون أن يسوقوه إليها»[2]، إذْ عملت فرنسا وسلطاتها على فصل المناطق التي يقطنها البربر الأمازيغ عن بقية المناطق الأخرى من الوطن، كما حاولت تلقين وتدريس الثقافة الفرنسية وفي المقابل منعت تدريس الثقافة العربية الإسلامية لأبناء هؤلاء القبائل، وذلك لتحقيق هدف واحد ألا وهو إحلال المسيحية والفرنسية، وكذلك اللغة الأمازيغية محل الإسلام واللغة العربية في منطقة القبائل خاصة ومن ثمة في الجزائر عامة، وهذا دليل قاطع على أنّ فرنسا تشنُّ حربًا على مقومات الشخصية الجزائرية من أجل محوها نهائيًا[3]،وعليه فإنّ الاستعمار الفرنسي في الجزائر اتخذ من المسألة البربرية سلاحًا فتاكًا في يده، مستغلاً تواجده في الجزائر لتحقيق جل أهدافه وأطماعه التوسعية بدعمه لطائفة تسعى إلى التخريب والتمرد[4].

---

(1) أمحمد مالكي، الحركات الوطنية والاستعمار في المغرب العربي، المرجع السابق، ص 190.

(2) أحمد توفيق المدني، حياة كفاح، ج2، المصدر السابق، ص 312.

(3) عبد الكريم بوصفصاف، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، المرجع السابق، ص 129.

(4) يحيى بوعزيز، الاتجاه اليمني في الحركة الوطنية الجزائرية من خلال نصوصه (1912-1948م)، (د ط)، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009، ص 92.

تعتبر المسألة البربرية من أخطر القضايا التي أثرتها فرنسا لتفرقة الشعب الجزائري ونشر العداوة بين أبنائه، وساعدها هذا في تحقيق خطوة كبيرة نحو تثبيت أقدامها في الأراضي الجزائرية لكنها لم تنجح مختلف مشاريعها وذلك يعود لتماسك الشعب الجزائري فيما بينه واعتماده على مبدأ واحد وهو الدين الإسلامي والعروبة بالإضافة إلى مساعي جل العلماء والمفكرين في نشر الوعي القومي في أوساط الأمة الجزائرية على رأسهم أحمد توفيق المدني.

4- موقفه من الطرق الصوفية:

يرى المدني أنّ الطرق الصوفية كانت تحظى بمكانة كبيرة في القطر الجزائري، وأنّ لها نفوذ عظيم كما هو الشأن في بلاد المشرق، ولبعض الطرق الصوفية مزية تاريخية لا يستطيع أحد إنكارها، وذلك لجهودها الجبارة في المحافظة على الدين الإسلامي في هذه البلاد في عصور الجاهلية وظلماتها، إذْ قام رجالها الأوّلون بتأسيس الزوايا يرجعون فيها الضالين إلى سواء السبيل، ويقومون بتعليم الناشئين الدين الإسلامي وبث العلم في صدور الرجال[1]،كما كانت أغلب الطرق والزوايا مراكزًا محركة ومُشجعة للمقاومة الوطنية وللجهاد وكان ذلك خلال مرحلة المقاومة الشعبية[2].

يُؤكد توفيق المدني أنّه لولا تلك الجهود العظيمة التي بذلها هؤلاء لما كنّا نجد الآن في بلادنا أثر للعربية ولا لعلوم الدين كما أرجع الفضل في تكوين طبقة من العلماء والفقهاء

(1) أحمد توفيق المدني، كتاب الجزائر، المصدر السابق، ص 350.

(2) بكار العايش، حزب الشعب الجزائري ودوره في الحركة الوطنية 1937-1939م، (د ط)، دار شطايبي للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013م، ص 67.

إلى تلك الزوايا التي كانت بمثابة واسطة فعلية نقلت الإسلام إلى بلاد أقصى الجنوب والسودان وكانت فوق كل الاعتبارات ملجأ للعاجز وابن السبيل[1].

كان للطرق الصوفية حضورًا في نادي الترقي خاصة عند تأسيس جمعية العلماء المسلمين في 1931/05/05، كما أصبحوا أعضاءًا فيها ما بين سنتي 1931-1932، لكنهم حاولوا الاستيلاء عليها من خلال الانتخابات، لكن محاولاتهم باءت بالفشل، مما دفعهم إلى الانسحاب وتأسيس جمعية السنة برئاسة المولود الحافظي، وعلى إثر ذلك ساءت العلاقة بين الطرق الصوفية ونادي الترقي إذْ وصفوه بأنّه نادي يجري فيه المنكر، كما قاموا بشنّ هجومًا على دعاة الإصلاح، المعارضين لهم في الجزائر، كما حرروا مقالات في جرائدهم تسيء للنادي ونشاطاته، ومن أبرز هذه المقالات مقالاً في جريدة البلاغ التي كان تحت عنوان "تأتون في ناديكم المنكر" وكذلك "لماذا تأسيس نادي الترقي بالجزائر"، وكان ذلك في عدد 12 أكتوبر 1930م[2].

أشار المدني إلى أنّ كل الزوايا التابعة للطرق الصوفية تغيرت نشاطاتها وأهدافها التي كانت عليها خلال المراحل الأولى من تأسيسها، وذلك بعد موت مؤسسيها ورجالها الأوّلون، إذْ انقلبت من معاهد علم وإحسان وإرشاد إلى معاهد خرافات وأباطيل مستغلة بذلك غفلة عامة الشعب، وأدى أمر الكثير من الزوايا والطرق إلى إحداث وثنية في الإسلام بطقوسها، وذلك لأنّها كانت تُروِّج لطقوس وعبادات وسلوكات دخلية على الإسلام والمسلمين، إذْ أدى ذلك إلى نفور الكثير من الإسلام ونبذه[3].

ان جمعية العلماء المسلمين وأعضائها من بينهم أحمد توفيق المدني خاضوا طيلة الربع قرن من وجودها حربًا دينية وفكرية خاصة مع مشايخ الطرق الصوفية وأتباعها، لأنّ

---

(1) أحمد توفيق المدني، كتاب الجزائر، المصدر السابق، ص 151.

(2) الوناس الحواس، نادي الترقي ودوره في الحركة الوطنية الجزائرية 1927-1954، المرجع السابق، ص 209.

(3) أحمد توفيق المدني، كتاب الجزائر، المصدر السابق، ص 352.

هذه الأخيرة أهدافها ومساعيها تتنافى وأهداف رجال الإصلاح، وذلك لأنّ بعض مؤسساتها تمثل جمودًا فكريًا وتسعى إلى الهيمنة على الشعب الجزائري المسلم[1]،والأمر المؤكد أنّ الطرق الصوفية كانت مساندة للإدارة الاستعمارية مستغلة بذلك امتيازاتها العائلية الممنوحة لها[2]،إذْ بعد انتهاء المقاومة الشعبية أصبحت الطرق والزوايا والمشايخ خاضعة لفرنسا التي استغلتها لخدمة مصالحها[3]،خاصة وأنّه من بين الأهداف الرئيسية لفرنسا هو القضاء على الدين الإسلامي ونشر المسيحية محله، حيث كان للطرق الصوفية مدارس تمثلت في القادرية، الشاذلية والخلدونية... الخ[4]، وقامت فرنسا بتشجيع دين إسلامي مُحرّف قائم على طقوس الذكر وتقديس الشيخ[5]

لقد كانت الطرق الصوفية تُكنُّ عداوة كبيرة لجميع أعضاء جمعية العلماء المسلمين لأنهم حاربوها وحاربوا أفكارهم المخالفة للعقيدة الإسلامية، حيث كانت الطرق الصوفية تعتبر جمعية العلماء المنافس الوحيد لها عن السلطة الروحية والدينية في الجزائر[6].

كان المدني ضد الطرق الصوفية ناقدًا لأفكارها لأنها تعمل لصالح الإدارة الفرنسية من خلال سعيها إلى تفريق الشعب وتشتيت شمل الأمة الجزائرية، كما أنها تهدف إلى تمزيق الدين وتحريفه، حيث يقول توفيق المدني: «طرق صوفية مضلة ظاهرها الرحمة وباطنها من قبلها عذاب، فرقت الشعب، وشتت الشمل ومزّقت عرى الدين، حتى أصبح كل منتسب لطريقة ما،

(1) عبد الكريم بوصفصاف، جمعية العلماء المسلمين وعلاقاتها بالحركات الجزائرية الأخرى 1931–1945، المرجع السابق، ص 177.

(2) Mahfoud Kaddach, histoire du nationalisme Algérien 1919-1951, société nationale d’édition diffusion, Alger, P 338.

(3) بكار العايش، حزب الشعب الجزائري ودوره في الحركة الوطنية 1937–1939م، المرجع السابق، ص 67.

(4) عبد الكريم بوصفصاف، جمعية العلماء المسلمين وعلاقاتها بالحركات الجزائرية الأخرى، المرجع السابق، ص177.

(5) بكار العايش، المرجع السابق، ص 67.

(6) عبد الرحمن بن ابراهيم بن العقون، الكفاح القومي والسياسي من خلال مذكرات معاصر1936–1945، ج2، ط2، منشورات السائحي ، الجزائر ،2008، ص 286.

وما أكثر الطرق، يعلن ويسب ويشتم، بل يخرج من الدين كل المنتسبين للطرق الأخرى، وبذلك تَحكَّمَ الاستعمار وساد»[1].

شكلت الطرق الصوفية خطرًا كبيرًا على الديانة الإسلامية إبَّان التواجد الفرنسي الذي كان يسعى لمحو الإسلام من الجزائر، من خلال الاعتماد على الطرق الصوفية وتشجيعها على إسلام محرف، حيث سيطرت هذه الطرق على الفكر الإسلامي والمجتمع المغربي، سيطرة كبيرة خلال القرن التاسع عشر، حيث بلغ عدد الزوايا بالجزائر 349 زاوية، ولقد أدى ذلك إلى بروز فقهاء وعلماء عرفوا بمعارضتهم ووقوفهم في وجه هذه الطرق ومحاربتهم بكل الوسائل، وذلك نظرًا للأوضاع التي خيّم عليها الجمود وكثرت البدع، حيث بدأ الشكّ يدبُّ ويجوب نفوس المسلمين[2].

المبحث الثالث .موقفه من القضايا العربية:

1–قضايا المغرب العربي

لقد شهدت دول المغرب العربي (شمال إفريقيا) أوضاعًا أمنية متدهورة للغاية، نتيجة الاستعمار حيث كانت هناك صراعات بين الحركات الوطنية والسلطة الاستعمارية في عدة جبهات، جبهة مسلحة مثل ثورة عبد الكريم الخطابي في الريف المغربي وثورة عمر المختار في ليبيا، وجبهة سياسية التي كانت سائدة في كل دول المغرب العربي،حيث كان في كل قطر سلطة استعمارية بإدارتها وشرطتها وقوانينها الجائرة، إضافة إلى قوى سياسية التي لها دور فعّال في التحكم في قيادات حديثة العهد بممارسة الاستعمار، وكذلك جبهة ثقافية التي تمثلت في تصادم الحضارات بين الدول الاستعمارية والحضارة العربية الإسلامية[3].

(1) أحمد توفيق المدني، حياة كفاح، ج2، المصدر السابق، ص 77.

(2) عمار طالبي، آثار ابن باديس، م1، ط1، الشركة الجزائرية، الجزائر، 1968م، ص 18.

(3) أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج4، المرجع السابق ، ص 129.

يرى المدني أنّ دول شمال إفريقيا من المحيط الأطلسي إلى جنوب قابس تجمعها روابط متينة منذ زمن بعيد، هذه الروابط تقوم على الدين واللغة والتاريخ المشترك، إضافة إلى رابط آخر وهو رابط البؤس، فهذا الأخير كان نتيجة للأوضاع المزرية التي تخبط فيها شعوب هذه الدول بسبب الاستعمار الغاشم، فالحالة الاقتصادية المتدهورة مثلا في القطر الجزائري من تجار وصُنّاع وحرفيين وغيرها هي نفسها في الدول الشقيقة تونس والمغرب، إذْ أنّها أصبحت داءًا ومرضًا مزمنًا يعانيه السكان[1].

2-القضية التونسية:

تطرق المدني في كتاباته حول دولة تونس، حيث تحدث عن الأوضاع الصعبة السائدة خاصة على الصعيد الاقتصادي، فهذا الأخير أدى إلى حوادث خطيرة جدًا خاصة منها حوادث المتلوي والرديف المؤلمة، ثم حادثة الجبل الأبيض، ووصف المدني كل ذلك بأنّه نكبة من النكبات السوداء التي تمر بها تونس في تاريخ الاستعمار والرأسمالية القاسية[2].

أكدّ أنّ الشعب الجزائري متضامن مع الشعب التونسي ويُنادي بضرورة استقلاله لأنّ كل أمة تنال استقلالها وحريتها تؤدي إلى نقص سلسلة الاستعمار إلى أن تضمحل إلى الأبد[3].

كان للمدني عديد المقالات حول القضية التونسية من بينها مقال في جريدة البصائر تحت عنوان "اليوم الجزائري العظيم" أكد فيه أنّ الحركات التحررية كلها متضامنة ومساندة للشعب التونسي[4]، كما يرى أزمة المملكة التونسية ومجريات الأحداث داخل تونس تتطور وتسير في منحنى خطير جدًا، مُشيرًا إلى ممارسات الاستعمار الفرنسي الشنيعة من إزهاق

(1) الشهاب، م11،ج 10، 1 شوال 1354هـ/جانفي 1935م، قسنطينة، ص 565.
(2) أحمد توفيق المدني، حياة كفاح، ج2، المصدر السابق، ص 422.
(3) أبي محمد، منبر السياسة العالمية، البصائر، العدد 182، ص 04.
(4) المصدر نفسه، ص 04.

للأرواح وإهدار الدماء وانتهاك الحرمات، بالإضافة إلى أساليبه المختلفة لكبح الحركات التحررية، التي تسعى إلى الخروج من بؤرة الاستعمار، إضافة إلى عمل الإدارة الاستعمارية على إلقاء القبض على زعماء البلاد، كان الشعب الجزائري على الدوام يُبدي تضامنه ومساندته لجميع الأقطار العربية خاصة تلك التي تُعاني من الاستعمار، وذلك لأنّ المغرب العربي يعتبر كدولة واحدة يجمعها تاريخ واحد ولغة واحدة ودين واحد وهو الإسلام، ودليل ذلك مختلف المقالات التي نُشرت وكانت تُنشر في جريدة البصائر، من بينها مقالاً تحت عنوان "القطر الجزائري كشقيقه القطر التونسي"، فهذا المقال بعث به أحد الأشقاء التونسيين إلى الجزائر وقامت جريدة البصائر بنشره على صفحاتها، حيث تحدث كاتبه على ضرورة محاربة البدع والوقوف في وجه المنكرات سواء في تونس أو الجزائر، واعتبر أنّ الدين الإسلام يتعرض إلى حرب من أجل محوه والعمل على القضاء عليه بكل الوسائل[1]،فنتيجة لرفض سلطات الإدارة الفرنسية قبول مطالب الوزارة التونسية المتمثلة في إصدار حكومة جلالة الباي المعظم طلب عرض قضية تونس على مجلس الأمن وعزم الهيئات السياسية التونسية على رفع القضية إلى المنتظم الأممي والاحتكام إلى الرأي العام العالمي، أكد المدني أنّ جميع الأوساط الجزائرية قلقة ومنزعجة اتجاه الاستفزاز الاستعماري الشنيع[2]، ويقول المدني في ذلك: «إننا نتقدم على لسان كل مغربي وكل جزائري على الإطلاع أسمى ما تحمله نفس بشرية من عواطف الود والصداقة والاعتراف بالجميل للشعب التونسي الماجد النبيل، ونُبشِّره أنّ مسعاه لن يذهب عبثًا...»[3].

(1) كاتب مجهول، القطر الجزائري كشقيقه القطر التونسي لا يقبل على مخالفي الدين، البصائر، العدد 07، الجزائر، الجمعة 31 ذي القعدة 1354هـ، ص 09.

(2) البصائر، العدد 182، المصدر السابق، ص 04.

(3) أحمد توفيق المدني، حياة كفاح، ج2، المصدر السابق، ص 425.

كان المدني يُبدي مساندته وتضامنه مع الدول العربية التي تعاني من الاستعمار ويتضح ذلك جليًا من خلال البرقيات والبلاغات التي كانت تصدر من مختلف الهيئات السياسية الجزائرية، سواء إلى الإدارة الاستعمارية أو الدول المستعمرة، ومثال ذلك البرقية التي وجهتها الجبهة الجزائرية للدفاع عن الحرية إلى كل من رئيس المجلس الوطني التونسي، والوزير الفرنسي للشؤون الخارجية، وكان المدني أحد موقعيها إلى جانب أعضاء آخرين وهذا نص البرقية: «إنّ الكتابة الدّائمة للجبهة الجزائرية بصفتها ترجمان الشعب الصادق لنستنكر إعتداء الاستعمار الفرنسي الذي رد على أعمال الشعب الشقيق السلمية بإقامته حالة حرب في تونس نتج عنها قتلى وجرحى واعتقال عدد كبير من الأشخاص ونفيهم وضغط منكر لا يُطاق على شخص سمو الباي، وإنما لا تحتج احتجاجًا قويًا على الوسائل التقليدية التي لا يزال يلجأ إليها الاستعمار الفرنسي وعي تطالب بإطلاق سراح الوطنيين والزعماء التونسيين الذين ألقى عليهم القبض أو أُكرهوا على الإقامة في مناطق معينة، كما تؤكد تضامنها المطلق مع الشعب التونسي طالبة النظر بعين الاهتمام إلى مطالبه الوطنية»[1].

كما تحدث المدني عن المجزرة التي وقعت في منطقة الرديف بعد أنْ حاول التونسيين الاعتصام بسبب ارتفاع الأسعار الجائرة وقابلتهم سلطات الاحتلال بوابل من الرصاص فتحول المكان إلى منطقة حمراء مغطاة بالدماء[2]، وأكد أنّ الحكومة التونسية لا تزال تبذل كل ما في وسعها لمقاومة الاستعمار والوقوف في وجهه بكل ما أوتيت من قوة ومن وسائل، رغم الصعوبات و العراقيل التي تواجههم من أجل وضع القضية التونسية في جدول أعمال مجلس الأمن الدولي، كما أشار أنّ الشمال الإفريقي وحدة لا تتجزأ لا بفعل

(1) البصائر، العدد 182، المصدر السابق، ص 04.

(2) أحمد توفيق المدني، حياة كفاح، ج2، المصدر السابق، ص 424.

الاستعمار ولا بأي قوة أخرى مهما كانت سلطتها وإدارتها ونفوذها، لقد عبّر المدني عن موقفه الرّافض للاستعمار ومساندته للشعب التونسي، كما عبّر عن أسفه إزاء ما يحدث في تونس وصرّح أنّ كل جزائري يحمل في قلبه هم تونس ويُشاركها في محنتها[1].

3-القضية المغربية:

كان للمدني مقالات مطولة حول القضية المغربية خاصة وأنها فيها مساس بكرامة الأمّة والدين الإسلامي، ولقد أبدى المدني تأييده ومساندته للمغاربة، حيث كانت له أفكار وآراء سياسية نُشرت في جريدة البصائر، ولقد ترتب عن هذا التأييد بروز خصوم له منهم محمد بن حسن الوزاني، هذا الأخير زعيم حزب الشورى احتج بأسلوب سياسي مؤدب لكن كان هناك أطراف أخرى من المغاربة انتقدته بشدّة منهم التهامي، حيث اتهم المجني علانية بأنّه يبيع فكره وقلمه وأنّ جريدة البصائر تمّ شرائها، لكن لم يقف أعضاء الجمعية وأنصارها ومؤيدي المدني صامتين بل وصفه الشيخ البشير الإبراهيمي أنّه شخص مغفل، وأنّ البصائر تعتبر من أهم المنابر التي تّدافع عن نفسها وعن قومها ودينها، كما أنّها تُدافع عن كل الإخوة العرب[2].

تناول المدني في مقالاته حول القضية المغربية الأوضاع المُشينة التي يمر بها المغاربة من قتل وتعذيب وانتهاك لحرمات العرب، وكذلك تحدث عن الممارسات غير القانونية من قِبل الإدارة الاستعمارية وما يمر به الشعب من ظروف قاسية جرّاء هذه الممارسات[3]،كما بيّن مدى اتفاق الحركات الوطنية والشعب المغربي وتأييده ومساندته

(1) أبي محمد، البصائر، العدد182، المصدر السابق ، ص 06.

(2) محمد البشير الإبراهيمي، آثار الامام محمد البشير الإبراهيمي، ج3، (د ط) ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981، ص 185.

(3) أبي محمد، البصائر، العدد 182،المصدر السابق، ص 04.

لجلالة السلطان محمد الخامس ومدى عزم الشعب والحكومة ورغبتها القوية في التخلص من الاستعمار والعيش في استقلال[1].

يتضح جليًا من خلال كتابات المدني مدى اهتمامه الكبير بأقطار المغرب العربي وما تعانيه هذه الدول من جراء ممارسات الإدارة الاستعمارية وانتهاكها لحقوق الشعوب. إذ كان متابعًا لكل سير الأحداث داخل دول المغرب العربي، ويُبدي رفضه للاستعمار وتأييده الدائم لحركات التحرر، فلم يُفوِّت أي فرصة للتنديد بالسياسة الاستعمارية وما تُمارسه من قمع، وتنكيل بالشعب المغربي الذي يُعتبر محور أساسيًا في كتاباته ، ولم يكن أحمد توفيق المدني وحده يُبدي انشغاله بقضية المغرب بل كان كل أعضاء جمعية العلماء على انشغال دائم بقضية المغرب متخذين من جريدة البصائر منبرًا للدفاع عن حقوق المغاربة مُناديًا بحقوقهم المشروعة، كاشفين المؤامرات الخبيثة التي تُدبرها سلطات الإدارة الفرنسية، حيث يقول المدني في هذا الشأن: «كانت جمعية العلماء المسلمين في الجزائر، وكانت صحيفتها البصائر، أكثر الهيئات انشغالاً بقضية المغرب الأقصى الشقيق وأمعنها دفاعًا عن حقوقه وأكثرها صرامة في كشف المؤامرات الخبيثة القذرة التي دبرتها الإقامة العامة الفرنسية بالرباط، وجرت خلفها جماعة من أوباش الرجعيين، وأدناس النفعيين، فكُنت في البصائر أكشف الستر عن خباياهم وخفاياهم في قسم منبر السياسة العالمية، الذي كُنت أمضيه: أبو محمد حتى إذا ما اقترفوا إثمهم العظيم»[2].

4-القضية الليبية:

كان المدني مساندًا للقضية الليبية ومؤيدًا لها باعتبارها أحد الدول العربية الإسلامية نادى باستقلالها وبحقوق شعبها وضرورة استقلالها، وهذا الموقف كان منذ زمن طويل منذ

(1) أحمد توفيق المدني، حياة كفاح، ج2، المصدر السابق، ص 564.

(2) أحمد توفيق المدني، حياة كفاح، ج3،(د ط) ، دار البصائر، الجزائر، 2009م، ص 72.

أنْ كان طفلاً في الثاني عشر من عمره، عندما كان مقيمًا في تونس حيث أبدى انزعاجه وغضبه اتجاه الوقائع، وكتب قائلاً: «كُنت يومئذٍ في السنة الثانية عشرة من عمري، ولا أستطيع أن أُصوِّر لكم ماذا انفجر مني إثر ذلك العدوان، من شعور إسلامي فيَّاض بلغ مبلغ الهيجان»[1].

أشاد الكثير بدور الزعيم الليبي عمر المختار، حيث أقرّ بأنّه جاهد عشرين عامًا من أجل الدّفاع عن الإسلام الذي يسعى العدو إلى محوه وإحلال محله المسيحية، كما دافع عن كرامة الوطن ضد الطغاة الإيطاليين، كما أشار إلى الممارسات الاستعمارية اتجاه الشعب الليبي وما يتعرض له يوميًا من سلب للحقوق وإذلال من طرف السلطات الإدارية الاستعمارية، كما تحدث عن الطرق الوحشية التي ينتهجها المستعمر الإيطالي من أجل إخماد مقاومة الشعب الليبي وكبح كل تحركاته ومحاولاته من أجل نيل الاستقلال والحرية والتخلص من الاستعمار، وذلك لأنّ المستعمر الإيطالي يسعى بكل الطرق من أجل تثبيت أقدامه على الأراضي الليبية[2]، فالشعب الليبي على غرار الشعوب التي تُعاني الاستعمار يُكافح من أجل نيل استقلاله لأنّ هذا الأمر لا يُعطى، حيث بذلوا في سبيل ذلك ما بوسعهم لتحقيقه، حيث ظلوا متمسكين بحبل الحرية والتحرر ولم ينقطع من أيديهم ودليل ذلك نشاط الزعماء الليبيين الرّافضين للاستعمار سواء على المستوى السياسي والعسكري من خلال المفاوضات والمطالب المُقدمة أو على المستوى العسكري من خلال مختلف الثورات التي عبّرت عن مواقفهم إزاء الاستعمار الأجنبي، فالشعب الذي نقص عدده وماله بفعل الاستعمار وممارساته إلاّ أنّه لم يُنقص اعتزازه بنفسه وإيمانه بحقه[3].

(1) أحمد توفيق المدني، جغرافية القطر الجزائري، المصدر السابق، ص 454.

(2) أحمد توفيق المدني، حياة كفاح، ج2، المصدر السابق، ص 454.

(3) أحمد طالب الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج3، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1997م، ص 405.

5-القضية الفلسطينية:

كان المدني شديد الاهتمام بالقضايا العربية على رأسها القضية الفلسطينية، حيث يرى فلسطين ليس فيها أحزاب سياسية ذات نُظم ومناهج سياسية وليس فيها من جماعات ذات برامج اجتماعية واقتصادية وهذا كله نتيجة للحصار والقيود المفروضة على الشعب الفلسطيني[1]،إذ تُعتبر الدولة الفلسطينية أهم نقطة حساسة لدى عامة الدول العربية والإسلامية، وذلك نظرًا للخطر الذي يهددهم في حياتهم وحياتهم وكذلك وحدتهم، فمن واجب كل عربي مسلم وفي أي قطر من أقطار العالم أن يقف وراء أخيه في فلسطين يُسانده ويُؤازره مهما كلّف ذلك من ثمن، لأنّ هذه القضية قضية العالم العربي الإسلامي بأسره[2].

كان توفيق المدني من بين المتتبعين لتطور سير الأحداث داخل فلسطين بل وكل ما يتعلق بها حيث تحدث عن الجلسة التي عقدتها لجنة الوصايا الدولية التابعة لهيئة الأمم المتحدة في مدينة جنيف، حيث تداولت هذه الجلسة الأعمال المتعلقة بإيجاد نظام لمدينة القدس الشريف، وبقية البقاع المقدسة في قطر فلسطين في نطاق التأميم، تحت رعاية الهيأة المحترمة إذ انتهى هذا المجلس بوضع دستور لمدينة القدس بوضعها تحت تصرف مجلس تشريعي يشرف عليه ممثل الأمم المتحدة وتسهر على تنفيذه قوة الأمم المتحدة، لكن الأمر الصعب حسب توفيق المدني هو طريقة تطبيقه ومدى احترامه والسير حسب بنوده[3].

أشار المدني إلى المشاريع الإنجليزية الاستعمارية في فلسطين التي قسّمتها إلى ثلاثة أجزاء قسم شرقي جبلي يقع ضمه إلى مملكة شرقي الأردن وقسم غربي يشمل سواحل فلسطين الشمالية وأخصب بلادها، وسعيها من أجل اقتطاع جزء من فلسطين بهدف تكوين

(1) أبي محمد، منبر السياسة العالمية، البصائر، العدد 116، ص 04.
(2) الشهاب، ج 5، م 13، جمادى الأولى 1356هـ/ جويلية 1937م، ص 285.
(3) أحمد توفيق المدني، حياة كفاح، ج2، المصدر السابق، ص 237.

دولة يهودية مستقلة تمام الاستقلال لها حكومتها وإداراتها ودستورها، وقسم ثالث يشمل بيت المقدس وسواحل حيفا ويبقى تحت الانتداب الإنجليزي بدعوى حماية الأرض المقدسة ومجرى النفط، لكن أشار المدني إلى إبداء زعماء العرب رفضهم لكل هذه الإجراءات والممارسات،لأنّ الاحتلال الصهيوني الغاشم، يسعى إلى تمزيق الأوصال وتشتيت البلاد بكل الوسائل، وهذه هي ميزة الاستعمار في كل دولة من الدول العربية المحتلة، بالإضافة إلى سعيه من أجل تثبيت قدم الاحتلال الصهيوني بصفة دائمة والسعي إلى تشريد العرب والمسلمين[1].

تعتبر القضية الفلسطينية أهم وأبرز قضية لدى العرب والمسلمين عامة، إذْ أنّ جميع المسلمين في مختلف أنحاء المعمورة يُساندون هذه القضية ويُناصرونها، وتعتبر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في طليعة الهيئات المتضامنة مع الشعب الفلسطيني، حيث كان جميع أعضاءها يُبدون اهتمامًا كبيرًا بالمسألة الفلسطينية على رأس هؤلاء عبد الحميد ابن باديس وأحمد توفيق المدني[2] ، فالدول العربية الإسلامية رغم مساندتها للشعب الفلسطيني ومناداتها باستقلاله وحقوقه المشروعة إلاّ أنّهم لا يُحركون ساكنًا حسب المدني من خلال جمود وتواطئهم ، دون تطبيق أي شيء حيث يقول المدني في هذا الشأن: «إنّ قدر الله وضاعت فلسطين فإنّها والله لن تذهب ضحية الصهيونية بل هي تذهب ضحية المسلمين الجامدين، وضحية ملوك والمسلمين المتغافلين، فيا عامة المسلمين ويا خاصتهم ويا ملوكهم وأمرائهم وقادتهم هذه فلسطين الشهيدة الضائعة متلاشية فماذا أنتم فاعلون؟»[3].

(1) الشهاب، م 13، ج5، جمادى الثانية 1356هـ/ أوت 1937م، قسنطينة، ص 397.

(2) الوناس الحواس، نادي الترقي في ودوره في الحركة الوطنية الجزائرية، المرجع السابق، ص 307.

(3) الشهاب، م 13، ج6، الشهر السياسي في عالمي الشرق والغرب، أوت 1937م، ص 329.

يؤكد أنّ القسم المتبقي من فلسطين للعرب تم أخذه وإلحاقه بالقوة رغم أنهم غير راضين بهذا الالتحاق، وذلك لأنّ الحكومة الإسرائيلية لها السلطة الكاملة في التحكم في زمام كل الأمور والأوضاع داخل التراب الفلسطيني، وتتخذ من الباطل وتُلبسه لباس الحق[1].

يمكن الإشارة إلى نقطة ألا وهي أنّ جميع الاتفاقيات والمعاهدات المُبرمة بين العرب والسلطات الصهيونية تم العمل ببنودها أو احترامها من قبل الاحتلال الصهيوني، لأنّ الحكومة الإسرائيلية تعتمد على مبدأ المصلحة الشخصية قبل كل شيء، كما تلقت فلسطين مساعدات مادية من قِبل العديد من الدول من بينها الجزائر، حيث قام أعضاء الهيئة العليا لإغاثة فلسطين على رأسهم المدني بجمع مبالغ مالية، وإرسالها إلى سكان دولة فلسطين، حيث جاء على لسان توفيق المدني: «فاجتمع لدينا من هبات المحسنين عدد ملاين من الفرنكات أبلغناها إلى مأمنها في فلسطين واستلمنا الشهادة القاطعة على صولها ورفعنا رأس الجزائر، ومحونا عنها بعض القصير، ومازلنا جادِّين في عملنا الصامت، لا ضوضاء ولا جَلبة»[2].

تعتبر القضية الفلسطينية قضية دينية قومية سياسية، تحظى باهتمام كبير لدى جميع الأحزاب السياسية على وجه الخصوص، ولدى الشعب الجزائري على العموم، فهي في نظر الحركات الوطنية الجزائرية المسألة الفلسطينية فوق كلّ الاعتبارات الحزبية وأنّه لا فرق بين الدولة الجزائرية والدّولة الفلسطينية[3]،ودليل اهتمام الشعب الجزائري بالمسألة الفلسطينية مدى تداولها في الأدب الجزائري، إذ نوَّه بها الكُتاب في الصحافة الوطنية، وتغنَّى بها الشعراء في مناسبات متعددة، مما جعلها شغل الرأي العام، فكانت حملات التطوع لتحرير فلسطين،

---

(1) أبي محمد، منبر السياسة، البصائر، العدد 116، المصدر السابق، ص 04.

(2) محمد البشير الإبراهيمي، آثار محمد البشير الإبراهيمي، ج3، المصدر السابق، ص 142.

(3) محمد البشير الإبراهيمي، الهيئة العليا لإغاثة فلسطين، البصائر، العدد 52، الإثنين 08 ذي الحجة 1367هـ/ الموافق 11 أكتوبر 1948م، ص 53.

وكذلك فتح مشاريع التبرعات لمساعدة الثوار وتأييد الجيوش العربية، إضافة إلى مقاطعة بضائع اليهود في كل مكان، كما خصصت الصحافة صفحة وأبواب دائمة لدراسة طبيعة فلسطين وأهميتها التاريخية والقومية للعرب، ولقد اشترك في الدعوة إليها والكتابة عنها كبار أدباء الجزائر، ومفكريها أمثال ابن باديس والمدني، الإبراهيمي، العقبي... الخ(1)

مما سبق عرضه نصل إلى العديد من الاستنتاجات كما يلي:

كان للمدني دور فعّال وبصمة يشهد لها التاريخ في الساحة السياسية الجزائرية، ويتّضح ذلك جليًا من خلال مشاركاته العديدة في مختلف التظاهرات والتنظيمات السياسية على غرار مشاركته في إعداد بيان الشعب الجزائري في عام 1943م، ومشاركته في الجبهة الوطنية للدفاع عن الحرية عام 1951م، كذلك إبرازه لموقفه اتجاه الاستعمار الفرنسي، إذْ كان للمدني العديد من الخطابات والكتابات التي تُبيِّن موقفه إزاء الاستعمار الفرنسي الذي رفضه بكل أشكاله سواء داخل الوطن الجزائري أو في باقي الدول المستعمرة في العالم.

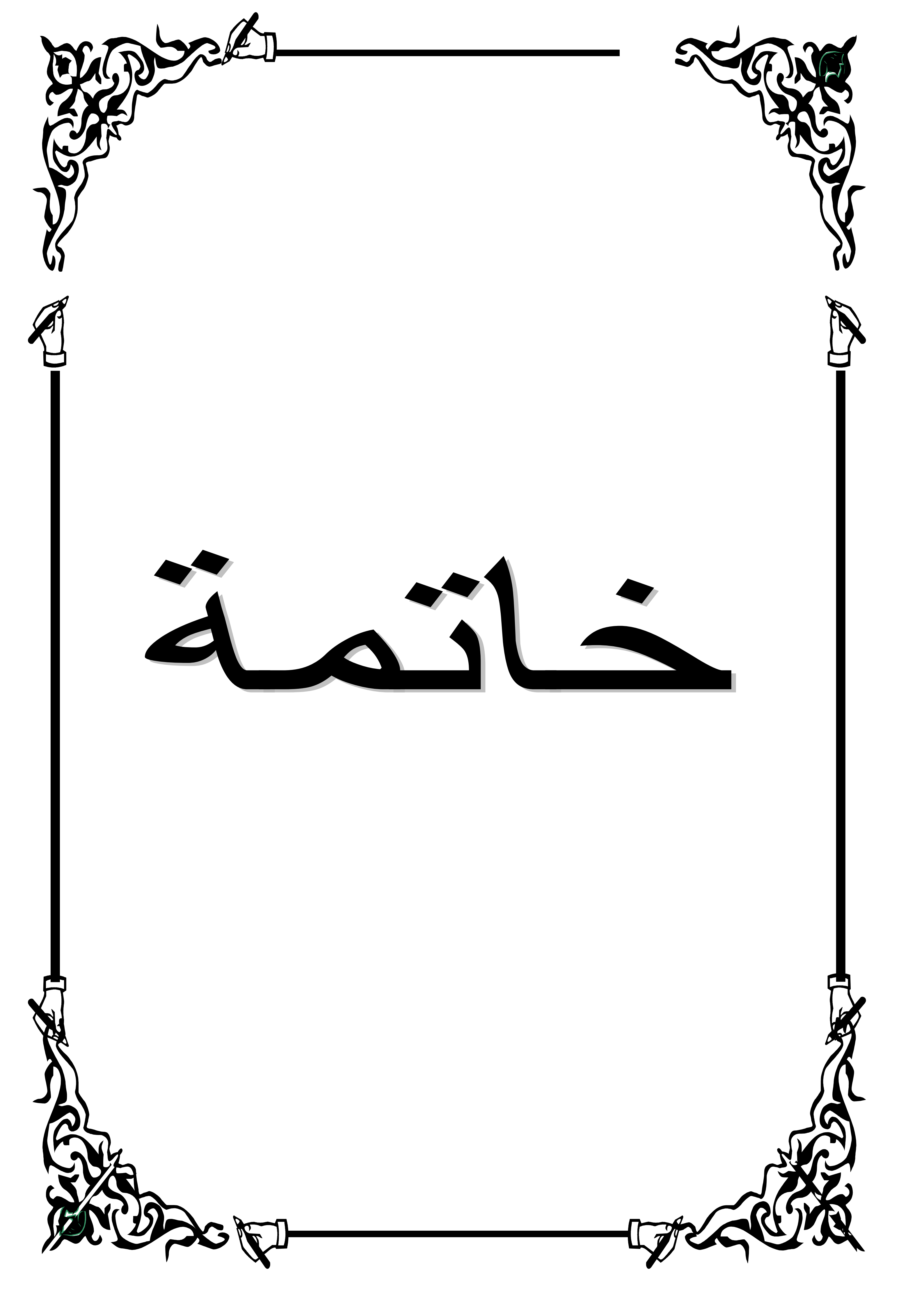
دافع المدني بكل الوسائل عن الوحدة الوطنية التي تسعى فرنسا إلى زعزعتها من خلال زرع الفتنة أوساط المجتمع الجزائري من خلال بعث التفرقة العرقية، وخير مثال على ذلك محاولتها إثارة نزاع بين العرب والبربر، إذ حذّر المدني من الإجراءات المُطبقة من طرف فرنسا في الجزائر وأكّد على أنّ المجتمع الجزائري تربطه روابط تاريخية عريقة ممتدة منذ قرون.

كان المدني من بين المهتمين بالقضايا العربية متابعًا لقضاياها خاصة تلك الدول التي تعاني من عدم استقرار سياسي "الاستعمار"، حيث أكّد على وحدة الدول العربية وبيّن مُساندته لقضايا التحرر وحقوق الشعوب في نيل الاستقلال والحرية، كما ساند المدني القضية الفلسطينية واعتبرها قضية العرب والمسلمين جميعًا، ودعا إلى ضرورة التحرك

---

(1) أبو القاسم سعد الله، دراسات في الأدب الجزائري الحديث، المرجع السابق، ص 107.

السريع لإنقاذ اخواننا في البقاع، كما أبدى استيائه من التخاذل العربي الإسلامي وكذلك من المشاريع التي يسعى اليهود إلى تطبيقها في فلسطين.



خاتمة

خاتمة:

من خلال هذه الدراسة التي تتمحور حول الشيخ أحمد توفيق المدني ودوره في الحركة الوطنية الجزائرية من 1925 إلى 1954م، تظهر في مشاركته في النشاط الجمعوي والسياسي ، وما ميّز حياته النضالية من إنجازات قيّمة كتبت اسمه بأحرف من ذهب في التاريخ الجزائري خاصة، والعربي عامة، حيث كانت له مشاركات في مختلف ميادين النضال من أجل القضية الوطنية، ويتضح ذلك بما يأتي :

– أحمد توفيق المدني تربى وترعرع في أحضان أسرة كان لها دور كبير في ميولاته عرفت بنبذ و معاداة الاستعمار ، وهي أسرة هاجرت من الجزائر إلى تونس عام 1871م، وكانت المدرسة الأولى التي تلقى فيها المدني دروسه الأولى في الحياة، وكان الفضل في ذلك لأمه التي لقنته وربته على القيم الدينية والقيم الأخلاقية، أمّا والده فقد تعلم منه قيم الرجولة والتضحية، وكان الوسط الأسري الذي ترعرع فيه المدني يناقش مختلف الأفكار السياسية والقضايا التحررية ويُبدي موقفه الرافض للاستعمار.

– مراحل التعليم الأولى بدأها من الكُتّاب، حيث تعلم من خلالها دروس القرآن الكريم، كما درس في المدرسة الخلدونية العلوم اللّغوية، وأكمل دراسته في جامع الزيتونة بتونس الذي تخرج منه، وعلى إثر ذلك أصبح المدني ملمًا بالعلوم الدينية واللغوية إضافة إلى إتقانه للغة الفرنسية التي تعلّمها بعد أنْ زجت به سلطات الإدارة الفرنسية في السجن من خلال مطالعته لمختلف الصحف واعتماده على نفسه بطريقة نظامية لتعلم هذه اللغة ،وقد تتلمذ المدني على يد الشيوخ الذين كان لهم من الكفاءة والقدرة العلمية.

– ولج المدني عالم التأليف من خلال مساهماته في إعداد الكثير من المؤلفات القيّمة، نذكر منها حياة كفاح بأجزائه الثلاث، وجغرافية القطر الجزائري، المسلمون في جزيرة صقلية وغيرها.

– كان للمدني دور في المجال الصحفي وذلك بعد نفيه إلى الجزائر عام 1925م مع العلم أنه كان مقيما مع أسرته في تونس، فكان صحفي ومؤرخ وخطيب ثائر يهدف إلى التعبير عن رأيه لإنقاذ أبناء بلده والمحافظة على هويتهم وثقافتهم ودينهم من خلال مقالاته في الجريدتين اللتان برزا فيهما وهما الشهاب والبصائر.

– كان لقدوم المدني إلى الجزائر الأثر الإيجابي على الحركة الإصلاحية فيها، حيث ساهم في تأسيس أهم نادي وهو نادي الترقي عام 1927م، الذي احتضن العديد من المؤتمرات التي حضرها المدني، كما ألقى فيه البحوث والمحاضرات في عدة ملتقيات علمية وثقافية وكذلك الأدبية، وكان قبلة للكثير من المفكرين والشعراء والأدباء، حيث نشأت بفضل هذا النادي العديد من الجمعيات التي لعبت دورًا كبيرًا في النهوض بالحركة الوطنية الجزائرية ونشاطها في توعية الشعب الجزائري، وحثّها على ضرورة التمسك بمقومات الشخصية الجزائرية التي حددتها في الدين واللغة والوطن.

– كان للمدني مساهمات في الساحة السياسية الوطنية الجزائرية، حيث وظف كل طاقاته وإمكانياته من أجل الدفاع عن القضية الجزائرية، وعمل من أجل فضح السياسة الاستعمارية والإجراءات التعسفية المُطبقة ضد الشعب الجزائري، من خلال مؤلفاته ومشاركاته في الملتقيات المختلفة.

– شارك في تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين واحتك برواد النهضة والاصلاح في الجزائر وعمل معهم كالعلامة عبد الحميد بن باديس والبشير الابراهيمي .

–من أهم أعماله على الساحة السياسية مشاركته في تحرير بيان الشعب الجزائري عام 1943م، مع فرحات عباس الذي يُعبِّر عن آمال وتطلعات الأمة الجزائرية، وسعيها لتحقيق الاستقلال.

– التزامه بالتعريف بالقضية الوطنية في اطار مبادئ اصلاحية تقوم على الحفاظ على الهوية الاسلامية للمجتمع الجزائري ،فكان من الرواد الأوائل الذين رافقوا سير الحركات السياسية والاصلاحية والثورية.

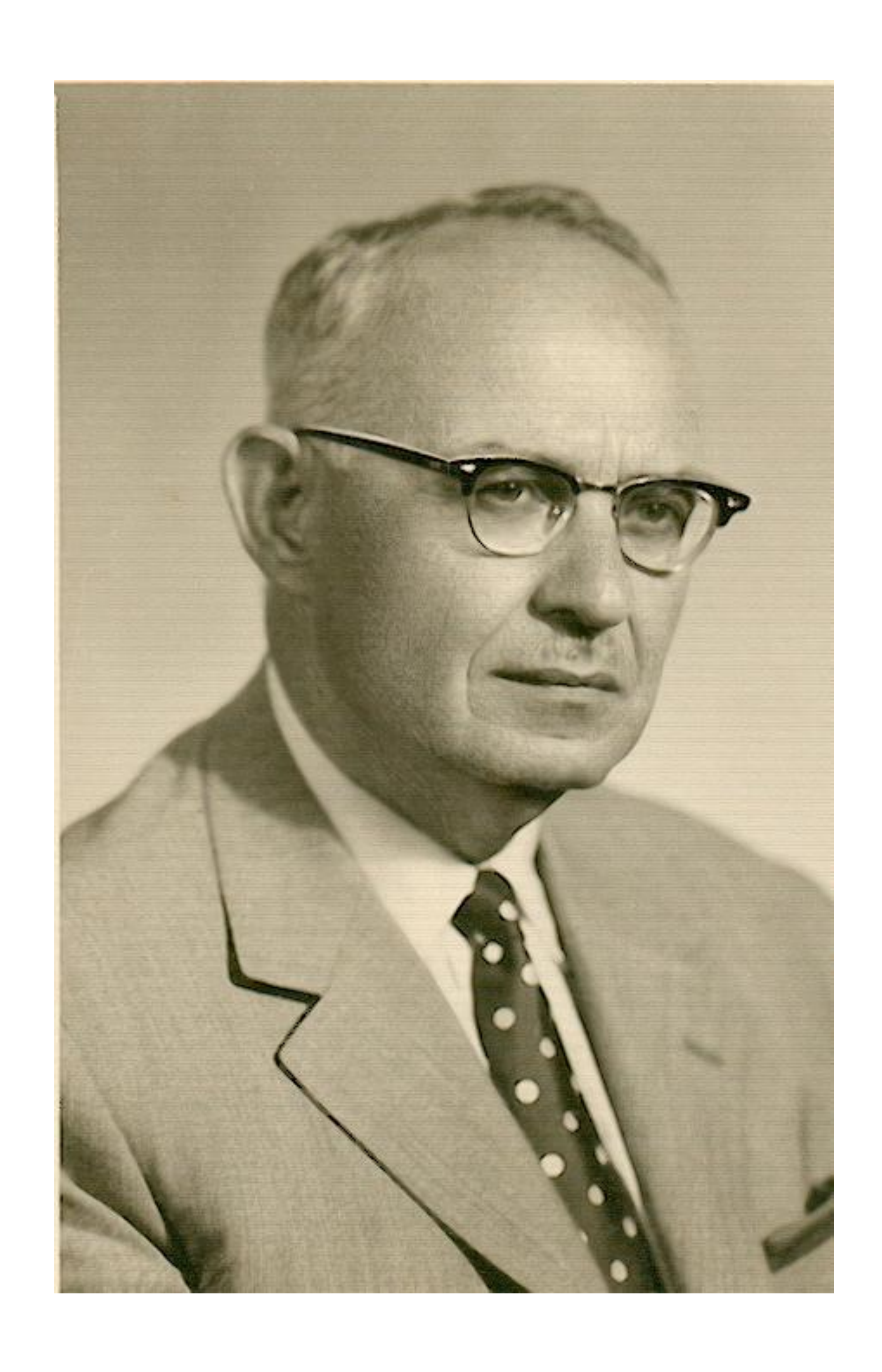
– كان المدني يُبدي اهتمامًا كبيرًا لكل صغيرة وكبيرة تحدث داخل الدول العربية، وأبدى دفاعه المستمر عن قضاياها، إذْ ساند مختلف الحركات التحررية في كل الأقطار العربية والإسلامية، وكان يُنادي بالوحدة المغاربية والوحدة العربية الشاملة، لأنّ هذه الدول تجمعها روابط تاريخية منذ القِدم.

– أبدى اهتمامه الكبير بالقضية الفلسطينية التي تُعتبر قضية العرب والمسلمين عامة، إذْ ندد الأستاذ بتواطؤ الدول العربية، وأشار إلى الحركة الصهيونية والمؤامرات الدولية التي تهدف الى سلخ فلسطين عن انتمائها العربي والإسلامي، كما تحدث وبإسهاب عن معاناة الشعب الفلسطيني من جراء السياسة الصهيونية المُطبقة في الأراضي المحتلة، وما يعيشه الشعب من أوضاع مزرية على مختلف الأصعدة، وفقدانه لأبسط متطلبات الحياة، إذ دعا المدني إلى ضرورة الإتحاد، وضم الصفوف حتى نتمكن من مواجهة الأعداء والسعي بكل الطرق من أجل تحرير فلسطين.



الملاحق

ملحق رقم –1–



صورة أحمد توفيق المدني

المرجع:WWW.EL MADANI.ORG

كلمة توفيق المدني حول افتتاح نادي الترقي:

للشعب الجزائري اليوم أن يبتهج بتأسيس نادي ضخم بعاصمة الجزائر باسم "نادي الترقي". وهي خطوة واسعة إلى الأمام، وإن أردنا الإيضاح قلنا بل هي ثورة متى نضرنا إلى الركود الطويل أو الماضي المحاط بالغموض، أو إلى سبات مائة عام، وهي المدة التي أخذ فيها الاحتكاك بالمدينة الغريبة يبعث بصريره هذه الأمة في سبات الأموات، وقيود الجهل والجمود وبما أن النوادي وكثرتها وانتظامها على النسق البديع وهو الميزان الذي توزن به الأمم في رقيها وأخذها بأسباب الحضارة، وكان من الميسور أن ينعت شعب الجزائر اليوم بأنه شعب دب فيه الشعور وأخذ فيه النهوض، والتخلص من ماضيه الحالك نظرا لتأسيس هذا النادي وهو بفخامته وضخامته الفنية خليق بأن يكون زينه للعواصم وتاجا وهاجا في جبين الحواضر، بل هو يستهوي الأفئدة ويخلب الألباب بما حول من مرافق كاملة، وأثاث نفيس وطنافس نقية، وزرابي مبثوثة، وموائد مرصوفة، وخزائن مصفّفة، وخمس قاعات واسعة بهيجة، أوسعها وأروعها البهو، وقاعة المحاضرات المطلة على بطحاء الحكومة، وكان مؤسسيه الكرام ما اجتمعوا في إخراجه على هذا القالب الجميل الجذاب إلا ليعدّوه للاضطلاع بأعباء عظيمة أكبر هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى هو دليل على أن شبيبة الجزائر تعتمد على الحقائق والإنجازات وتستند على التفكير الرشيد، لا على مجرد الدعايات الفارغة[1].

([1]) لوناس الحواس، نادي الترقي ودوره في الحركة الوطنية الجزائرية، المرجع السابق،ص344.


المجلس الاداري لجمعية العلماء بعد رئاسة الشيخ البشير الابراهيمي

المصدر: أحمد توفيق المدني، حياة كفاح ،ج2،المصدر السابق ،ص394.



جانب من حفلة الثلاثين.

1- الشاعر الكبير مفدي زكريا، 2- الأستاذ حمزة بوكوشة، 3- الشاعر الكبير أحمد سحنون
4- أحمد توفيق المدني، 5- الشهيد عبد الرحمن بن العقون، 6- الأستاذ محمد شرفة الأكحل
7- الأستاذ عمر العرباوي، 8- الأستاذ عبد الرحمن غريب.

المصدر: أحمد توفيق المدني، حياة كفاح ،ج1، المصدر السابق، ص183.



قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم:

أولاً: المصادر

I- الكتب:

1-الإبراهيمي محمد البشير، عيون البصائر، (د ط)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر،(د س ن).

2- // // // ، آثار محمد البشير الإبراهيمي، ج$_3$، (د ط)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981م.

3-الإبراهيمي أحمد طالب، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي 1929-1940م، ج$_1$، ط$_1$، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1997م.

4- // // // ، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج$_3$، ط$_1$، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1997م.

5-حماني أحمد، الصراع بين السنة و البدعة ، ج1،(د ط) ،دار البعث ،الجزائر،(د س ن) .

6-ابن العقون عبد الرحمان بن إبراهيم، الكفاح القومي والسياسي من خلال مذكرات معاصر 1920-1936م، ج$_1$، (د ط)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984م.

7- // // // ، الكفاح القومي والسياسي من خلال مذكرات معاصر1936-1945،ج2 ، ط2 ،منشورات السائحي ،الجزائر ،2008.

8- // // // ، الكفاح القومي والسياسي من خلال مذكرات معاصرة1947-1954م، ج$_3$، ط$_2$، منشورات السائحي، الجزائر، 2008م.

9-كافي علي، مذكرات الرئيس علي كافي من المناضل السياسي إلى القائد العسكري 1946-1962م،(د ط) دار القصبة للنشر، الجزائر، 1999م.

10- المدني أحمد توفيق، حياة كفاح، ج$_1$، (د ط)، دار البصائر، الجزائر، 2008م.

11- // // // ، حياة كفاح، ج$_2$، (د ط)، الشركة الوطنية للتوزيع، الجزائر، 1983م.

12- // // // ، حياة كفاح، ج3 ، (د ط)، دار البصائر، الجزائر، 2009م.
13- // // // ، كتاب الجزائر،(د ط)،دار البصائر،الجزائر،2009م.
14- // // // ، هذه هي الجزائر،(د ط)،مكتبة النهضة المصرية، القاهرة،(د س ن).
15- // // // ، المسلمون في جزيرة صقلية، (د ط)، دار البصائر، الجزائر، 2009م.
16- // // // ، رد أديب على حملة أكاذيب، (د ط)، دار البصائر، الجزائر، 2009م.
17- // // // ، محاضرات في اللغة والفكر والتاريخ، (د ط)، دار البصائر، الجزائر، 2009م.
18- // // // ، جغرافية القطر الجزائر، (د ط)، دار البصائر، الجزائر، 2009م.
19- // // // ، أبطال المقاومة الجزائرية، (د ط)، دار البصائر، الجزائر، 2008م.
20- الورتلاني الفضيل، الجزائر الثائرة، (د ط)، دار الهدى للطباعة والنشر، الجزائر، 2009م.

II- **المجلات والجرائد:**

-الشهاب:

-مجلة الشهاب، م 10، ج5، محرم 1352هـ.
-مجلة الشهاب، م11، ج1،10 شوال 1354هـ / جانفي 1935م.
-مجلة الشهاب، م12 ، ج5 ،1937م.
-مجلة الشهاب،م13، ج5، جمادى الأولى 1356هـ/ جويلية 1937م.
-مجلة الشهاب،م13، ج6، أوت 1937م.
-مجلة الشهاب، العدد 100،9 جوان 1927م.

-البصائر:

-جريدة البصائر، العدد4.

-جريدة البصائر، العدد7، السنة الأولى ،21 ذي القعدة ،1354هـ.

-جريدة البصائر،العدد32 ، السنة الأولى ،10 جمادى الثانية 1937م.

-جريدة البصائر، العدد 52، 8 ذي الحجة1367هـ/17 أكتوبر1948م.

-جريدة البصائر، العدد 105 .

-جريدة البصائر، العدد 125.

-جريدة البصائر، العدد 140.

-جريدة البصائر، العدد 166.

-جريدة البصائر، العدد182، 25 فيفري 1952م.

ثانيًا: المراجع:

2- المراجع باللغة العربية:

أ- الكتب:

1- بلاح بشير، تاريخ الجزائر المعاصرة 1830-1989م،ج1،(د ط)،دار المعرفة ،الجزائر،(د س ن).

2- بلاسي نبيل أحمد، الاتجاه العربي والإسلامي ودوره في تحرير الجزائر، (د ط)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، جامعة الزقازيق، 1990م.

3- بوغابة يوسف، معالم الفكر السياسي لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، (د ط)، وزارة الثقافة، الجزائر، 2007م.

4- بوعزيز يحي، أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة، ط$_1$، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1995م.

5- // // // ، كفاح الجزائر، (د ط)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986م.

6- // // // ، الاتجاه اليمني في الحركة الوطنية الجزائرية من خلال نصوصه 1912-1948م، (د ط)، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009م.

7- بوصفصاف عبد الكريم ،جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في تطور الحركة الوطنية الجزائرية1931-1945، د ط ، عالم المعرفة ، الجزائر ،الجزائر ،2009.

8- بن تومي عمار ،الجريمة والفظاعة1923-1954م، (د ط) ،دار القصبة للنشر،الجزائر،2013م.

9- حمدي أحمد، الثورة الجزائرية والإعلام، ط2، منشورات المتحف الوطني، الجزائر، 1995م.

10-الحواس الوناس، نادي الترقي ودوره في الحركة الوطنية الجزائرية1927-1954م، (د ط)، كنوز المعرفة ،الجزائر ،2012م.

11-حربي محمد، الثورة الجزائرية سنوات المخاض، (د ط)، ترجمة: نجيب عياد وصالح المسلوني، موفم للنشر، الجزائر، 1994م.

12-دبوز محمد علي ،أعلام الاصلاح في الجزائر من 1340هـ-1921م الى عام1395هـ-1975م، د ط منشورات السهل ،الجزائر ،1994م.

13-الزبيري العربي، تاريخ الجزائر المعاصر، ج1، (د ط)، إتحاد الكتاب العرب، 1999م.

14-زروقة عبد الرشيد ،جهاد ابن باديس ضد الاستعمار في الجزائر1913-1940م،ط1، دار الشهاب ،الجزائر،1999م.

15-سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، (د ط) ، دار الغرب الاسلامي ، بيروت،2007.

16- // // // ،تاريخ الجزائر الثقافي1830-1954م ،ج7، د ط ،دار الغرب الاسلامي ،بيروت ،1998م.

17- // // // ، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج4، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1996م.

18- // // // ، دراسات في الأدب الجزائري الحديث، ط5، دار الرائد للكتاب، الجزائر، 2007م.

19- // // // ،الحركة الوطنية الجزائرية 1900-1930م ،ج2،ط1،دار الغرب الاسلامي ،بيروت ،1992م.

20- // // // ،الحركة الوطنية الجزائرية 1930-1945م ،ج3،ط4،دار الغرب الاسلامي ،بيروت ،1992م.

21-الأشرف مصطفى، الجزائر الأمة والمجتمع ،ترجمة:حنفي بن عيسى ، د ط ،دار القصبةللنشر ،الجزائر ،2007.

22-الصديق محمد الصالح، أعلام المغرب العربي، ج3، ط2، موفم للنشر، الجزائر، 2008م.

23- // // // ، شخصيات فكرية وأدبية، (د ط)، دار الأمة، الجزائر، 2010م.

24- طالبي عمار، آثار ابن باديس، م1، ط1، الشركة الجزائرية، الجزائر، 1968م.

25-علواني صالح، أحمد توفيق المدني التونسي الجزائري المصلح والمناضل من خلال مذكراته 1915-1925م، (د ط)، تونس، (د س ن).

26-العلوي محمد الطيب ، مظاهر المقاومة الجزائرية 1830-1954م ،ط3،منشورات وزارة المجاهدين ،الجزائر، (د س ن).

27-عبد الرحمن عواطف، الصحافة العربية في الجزائر، دراسة تحليلية لصحافة الثورة الجزائرية 1954-1962م، (د ط)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985م.

28-عبد القادر حميد ،فرحات عباس رجل الجمهورية ، (د ط)، دار المعرفة ،الجزائر ،2007.

29-العايش بكار، حزب الشعب الجزائري ودوره في الحركة الوطنية 1937-1939م، (د ط)، دار شطايبي للنشر والتوزيع، 2013م.

30-عجالي كمال، مساهمة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في الحفاظ على الهوية الوطنية، (د ط)، معهد الآداب، جامعة باتنة، الجزائر، 2001م.

31-عمورة عمار، موجز في تاريخ الجزائر، ط1، دار ريحانة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2002م.

32- عمامرة تركي رابح، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التاريخية (1931-1956) ورؤساؤها الثلاثة، ط1، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2004م.

33-فركوس صالح، المختصر في تاريخ الجزائر من الفينيقيين إلى خروج الفرنسيين (81 ق.م- 1992م)، (د ط)، دار العلوم للنشر والتوزيع، الجزائر، 2003م.

34-قداش محفوظ ،تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية 1939-1951م،ج2،ترجمة:أحمد بن بار، د ط ،دار الأمة ،الجزائر،2008م.

35-قنانش محمد ،الحركة الاستقلالية في الجزائر ما بين الحربين 1919-1939م، د ط ،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ،الجزائر،1982م.

36-لونيسي رابح، التيارات الفكرية في الجزائر المعاصرة بين الاتفاق والاختلاف 1920-1954م، دار كوكب العلوم، الجزائر، 2009م.

37- مراد علي، الحركة الإصلاحية الإسلامية في الجزائر، بحث في التاريخ الديني والاجتماعي من 1925 إلى 1940م، ترجمة: محمد عياش، (د ط)، دار الحكمة، الجزائر، 2007م.

38-مهساس أحمد، الحركة الثورية في الجزائر1914-1954م، (د ط)، دار المعرفة، الجزائر2007م.

39-مرتاض عبد المالك، فنون النثر الأدبي في الجزائري 1931-1940م، (د ط)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983م.

40- // // // ، نهضة الأدب العربي المعاصر في الجزائر، 1925-1954م، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1983م.

41-مالكي أمحمد، الحركات الوطنية والاستعمار في المغرب العربي، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1933م.

42-مناصرية يوسف، دراسات وأبحاث في المقاومة والحركة الوطنية الجزائرية 1830-1954م، (د ط)، دار هومة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013م.

ب- الرسائل الجامعية:

1-توازي خالد، الظاهرة الحزبية في الجزائر، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في العلوم السياسية والعلاقات الدولية، جامعة الجزائر، بن يوسف بن خدة، 2005-2006م.

2-خليفي عبد القادر، أحمد توفيق المدني ودوره في الحياة السياسية والثقافية بتونس والجزائر 1899-1983م، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة منتوري ، قسنطينة، 2006-2007م.

3-داهش محمد علي، دراسات في الحركة الوطنية والاتجاهات الوحدوية في المغرب العربي، جامعة الموصل، العراق.

4-شريف عبد الغفور، موقف جمعية العلماء المسلمين من خلال جريدة البصائر، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في علوم الإعلام والإتصال، جامعة الجزائر،2010-2011.

5-بن شعبان السبتي، الحركة الوطنية بمنطقة قالمة1919-1954م،رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في تاريخ المجتمع المغاربي الحديث والمعاصر، جامعة منتوري،قسنطينة،2009-2010م

6-طهاري نجية، بناء الشخصية في مسرح أحمد رضا حوحو، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في الأدب العربي، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2010-2011م.

7-عبد القادر حملات، أثر الحركة الوطنية في شعر مبارك جلواح، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، جامعة وهران، 2009-2010م.

8-قاسم أبو زيد، المسرح عند سعد الله ونوس، "مغامرة رأي المملوك جابر"، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في الأدب العربي، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2010-2011م

9-قريري سليمان، الاتجاه الثوري والوحدوي في الحركة الوطنية الجزائرية 1940-1954م، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2000-2001م.

10- قسوم أم الخير، تطور حركة الانتصار والحريات الديمقراطية1946-1954م، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في تخصص التاريخ المعاصر، جامعة محمد خيضر، بسكرة 2012-2013م.

ت-موسوعات:

-بلقاسمي بوعلام، موسوعة أعلام الجزائر أثنا الثورة ،منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر1954م،دط ،الجزائر، د.س.ن

ث-مقالات:

-بومعزة نوال، الثورة الجزائرية في الرواية العربية الجزائرية من الواقع إلى المتخيل، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، (د س ن).

- عسوس عمر، أزمة الهوية لدى البربر في الجزائر، (د س ن).

ج-ملتقيات:

-ميسوم بلقاسم، الملتقى الوطني الأول في الأبحاث والدراسات التاريخية في الجزائر بعد خمسين سنة من الاستقلال ،جامعة الحاج لخضر ،باتنة،52-26جمادى الثانية1432هـ- الموافق ل6-7ماي2013م.

ح-الدوريات المعاصرة:

-مجلة الأصالة،العدد16-17،أكتوبر،1973م.

-مجلة الأصالة،العدد33،السنة الخامسة، جمادى الأولى ،1396ه/ماي 1976م.

-مجلة الأصالة،العدد44،السنة السادسة، ربيع الثاني ،1397ه/1977م.

-مجلة الثقافة،العدد14،83ذوالحجة/سبتمبر 1984م.

-المجلة المغاربية للدراسات التاريخية والاجتماعية،العدد7،ديسمبر 2013م،الجزائر .

-مجلة تاريخ المغرب، الرباط، (د ع).

-مجلة البحوث والدراسات الانسانية،العدد2015،10م.

-الموقع الالكتروني:

-www.el madani.org.

2-المراجع باللغة الفرنسية:

1)-Mahfoud kaddach , le parti du peuple algérien(p.p.a)1937-1939,office des publication universitaires ,alger,1983.
2)-Mahfoud kaddach ,histoire du nationalisme Algérien 1919-1951,societe nationale d'Edition diffusion , alger,198
3)-Robert et Marionne cornivin ,histoire de l'Afrique des origines a la 2 guerre mondiale, petite bibliothèque Payot ,boulevard saint germain ,paris ,1983.



فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات